رؤية الله تعالى في الآخرة
بين الماتريدية والمعتزلة

الدكتور / عبدالرؤف محمود عبدالرؤف
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ....

فهذا بحث يدور حول مسألة مهمة من مسائل الاعتقاد التي أثيرت في بدايات ظهور الفرق الكلامية ، وهي مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة ، وقد اقتصرت في بحثي على فرقتين فقط هما الماتريدية والمعتزلة .

وذلك يرجع لعدة أسباب :

أولها : تأصيل مذهب المعتزلة في هذه المسألة خاصة بعد انتشار العديد من كتبهم الخاصة أو كتب المتابعين لهم من الزيدية وغيرهم في الساحة الإسلامية .

ثانيها : بيان مذهب الماتريدية في مسألة الرؤية وأدلتهم ، وموقفهم من أدلة المعتزلة .

ثالثها : محاولة الكشف عما ردده بعض المحدَثين من تأثر الماتريدية بالمعتزلة في بعض المسائل وخاصة في مسألة الرؤية .

ولقد اتخذت منهج التحليل للمسائل وبيان موقف الفريقين ثم بيان موقف الماتريدية من مذهب المعتزلة وأدلتهم .

ولقد اتخذت من كتب المعتزلة المنسوبة لهم مصدرا للحديث عن عقيدتهم في هذا المسألة ، وفي بعض الأحيان أستعين بكتب متابعيهم من الشيعة والزيدية ، بحيث يكون كلام المعتزلة منسوبا لمصادرهم لا لمخالفيهم .

وقدمت الماتريدية في الحديث مع تأخرهم لكونهم قد اشتهر عنهم الإثبات ، والإثبات مقدم على النفي ، ولبيان موقفهم من المعتزلة في هذه المسألة ومن أدلتهم .

وقد اشتمل البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالماتريدية والمعتزلة .

المبحث الثاني : مذهب الماتريدية في الرؤية .

المبحث الثالث : مذهب المعتزلة في الرؤية وموقف الماتريدية منه .

ثم ذيلت البحث بأهم النتائج والمقارنات التي توصلت إليها في البحث .

أسأل الله تعالى أن يوفقني ويهيئ لي من أمري رشدا ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

المبحث الأول :

التعريف بمفردات البحث

تمهيد

يمثل الماتريدية والمعتزلة فرقتين هامتين من الفرق الإسلامية كان لكل منهما دور في الدفاع عن الإسلام بالطريقة التي ارتضاها . فكان لزاما أن نقف في بداية البحث على موجز تاريخي لكل فرقة . وعلى تعريف مختصر للرؤية في اللغة والاصطلاح .

تعريف الرؤية

الرؤية تطلق في اللغة ويراد بها (النظر بالعين والقلب ، والرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد ، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين ، يقال : رأى زيدا عالما ، ورأى رأيا ورؤية وراءة) (١) . (والرؤية إدراك المرئي وذلك أضرب بحسب قوى النفس الأول بالحاسة ونحوها ، الثاني بالوهم ، والتخيل الثالث بالفكر نحو ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ الأنفال: ٤٨]، الرابع بالعقل نحو ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ النجم: ١١) (٢) .

الفرق بين الرؤية والعلم والنظر والإدراك

هذه المصطلحات قد تتداخل ظاهرا في معناها ، إلا أنه عند التحقيق نجد أن كلا منها يفيد معنى أدق من الآخر ، فيقول أبو البقاء الكفومي : (حقيقة الرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر ، وقد يراد بها العلم مجازا بالقرينة ، ومنه قوله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ الفرقان: ٤٥] ، وقوله عليه الصلاة والسلام

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب جـ ١٤ ص ٢٩١ . دار صادر . بيروت ـ لبنان . بدون تاريخ .

(٢) محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف ص ١٥١ . تحقيق : د. محمد رضوان الداية . الناشر : دار الفكر المعاصر- دار الفكر ـ بيروت . دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠.

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، وكذا يراد بها الكينونة عند الإضافة إلى مكان لتعارف الناس ومنه قول الأعمى { رأينا الهلال بالكوفة } .

والرؤية مع الإحاطة تسمى إدراكا وهي المراد في قوله تعالى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣] ، حيث نفى ما يتبادر من الإدراك من الإحاطة بالغايات والتحديد بالنهايات ، فلا تتوهم أنه يرى لصورة أو شكل مخصوص) (٣) . وفي الفرق بين الرؤية والنظر يقول : (النظر هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً أجري لفظ النظر على الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب) (٤)

التعريف بالماتريدية

الماتريدية (مدرسة من مدارس علم الكلام اتخذت لنفسها اسم مؤسسها أبي منصور الماتريدي ، ذاع صيتها في العصر المملوكي على نطاق واسع بوصفها المدرسة الثانية من مدارس علم الكلام ذات النزعة السنية التقليدية إلى جانب الأشعرية ، ولم يكن اسم الماتريدية متداولا قبل التفتازاني (٧٩٢هـ) الذي استخدمه لبيان الدور الذي قام به الماتريدي كمؤسس لمدرسة سنية في علم الكلام ، وفي البداية كانت هذه المدرسة تلقب بأنها مدرسة علماء سمرقند ، أو ما وراء النهر) (٥).

ومؤسس هذه الفرقة هو الإمام (محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ، توفي عام ٣٣٣هـ (٦) ، (وهو معاصر أو قريب للأشعري ، اتبع ومن بعده فرقته رأي الإمام أبي حنيفة ؛ ولذلك يسمون الحنفية غالبا ، وقد أضاف الماتريدي إلى صفات الله تعالى صفة التكوين ، ومن الصفات الدالة

---

(٣) انظر : أبو البقاء الكفومي : كتاب الكليات ص ٧٤٨ . تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري . مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) نفسه ص ١٤٦٠ .

(٥) انظر : ا.ج .بريل : موجز دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢٩ ص ٨٩٦١ بتصرف يسير .مركز الشارقة للإبداع الفني . ط ١ ١٤١٨هـ . ١٩٩٨ م .

(٦) أبو الحسنات اللكنوي الهندي : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٩٥ . تحقيق : السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعماني . دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

عليها الخلق والإحياء والرزق ، والإماتة ، وتسمى هذه صفات الأفعال ، وهي حادثة عند الأشعرية قديمة عند الماتريدي) (٧).

(**ومن ممثلي مدرسة الماتريدية النابهين** في أواخر القرن الخامس الهجري : (أبو شكور السلمي الكشي مؤلف كتاب التمهيد في بيان التوحيد ، وأبو اليسر البزدوي (٥٩٣هـ) ، قاضي سمرقند ، ومؤلف كتاب (أصول الدين . وأهم من شرح وطور المذهب الماتريدي فهو أبو المعين النسفي المكحولي (٥٠٨هـ) ، الذي وضع أضخم وأشمل كتاب عن مذهب الماتريدي الكلامي ، وهو كتاب (تبصرة الأدلة) ، وهو موجز لكتاب (بحر الكلام ، وكتاب التمهيد لقواعد التوحيد ، وأهم الكتب التي نشرت مذهب الماتريدي : كتاب العقائد لنديم الدين أبي حفص النسفي (٥٣٧هـ) ، وفي القرن السادس الهجري كتب نور الدين الصابوني البخاري (٥٨٠هـ) كتاب البداية من الكفاية) (٨) .

ومن بين مؤلفي الماتريدية المتأخرين أبو البركات النسفي (٧١٠هـ) الذي ألف مقالة موجزة ومبسطة هي (عمدة العقيدة لأهل السنة) ، ومنهم أيضا : عبيد الله بن مسعود المحبوبي (٧٤٧هـ) الذي عالج مشكلات كلامية في سياق كل من كتاب (تعديل العلوم) ، وكتاب (التوضيح) (٩) .

وقد انتشر المذهب الحنفي على يد علمائه في سمرقند في القرنين الرابع الهجري ، والخامس الهجري في ما وراء النهر شرق خراسان وبلخ ، كما انتشر بين الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام حديثا في أراضي قرخاند بوسط آسيا(١٠) .

وقد ظلت تعاليم الماتريدي غير معروفة في الواقع في غرب خراسان حيث كان الأحناف يناصرون مدارس كلامية أخرى منها الكثير الذي ينتمي للمعتزلة (١١).

ونتيجة للتوسع التركي أخذت الحنفية المشرقية وأفكار الماتريدي الكلامية في الانتشار غرب فارس ، والعراق ، والأناضول ، وسورا ، ومصر ، وهاجر العديد من علماء الحنفية المشرقيين وأضرابهم في منطقة ما وراء النهر إلى هذه

(٧) موجز دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ص ١٠٢٧ .بتصرف .
(٨) انظر : موجز دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢٩ ص ٨٩٦٣ ـ٨٩٦٥ بتصرف .
(٩) نفسه
(١٠) نفسه جـ ٢٩ ص ٨٩٦١ .
(١١) نفسه جـ ٢٩ ص ٨٩٦٢ . بتصرف

المناطق ، ومارسوا التدريس فيها بدءا من أواخر القرن الخامس الهجري وإلى القرن الثامن الهجري (١٢).

ورغم التقارب الواضح بين المذهب الماتريدي والمذهب الأشعري في المسائل الكلامية إلا أن هناك بعض المسائل حدث فيها اختلاف ، وقد نظمها تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) في قصيدة سماها بالنونية ، وقد وصفها قائلا : (ولي قصيدة نونية جمعت فيها هذه المسائل وضممت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها مع تصويب بعضهم بعضا في أصل العقيدة ودعواهم أنهم أجمعين على السنة ، وأولها :

الورد خدك صيغ من إنسان *** أم في الخدود شقائق النعمان

والمسائل المذكورة هي ثلاث عشرة مسألة ، عد الإمام السبكي منها سبع مسائل لفظية ، وست معنوية يراها تبلغ من الضآلة حدا لا يبرر معه الاتهام بالتبديع (١٣).

وبذلك يتضح أن الماتريدية كان لهم أماكن انتشار واسعة في بلاد ما وراء النهر ، وخراسان وغيرها من البلاد المشرقية ، وأنهم يتبعون المذهب الحنفي في مسائل الشريعة .

التعريف بالمعتزلة :

المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال (١٤) الذي اعتزل مجلس الإمام الحسن البصري (١١٠هـ) بعد اختلاف معه في مسألة مرتكب الكبيرة ، وأخذ

---

(١٢) نفسه .

(١٣) انظر : الإمام تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٣٧٩ . تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، د.عبد الفتاح محمد الحلو الناشر : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع _ ط ٢، ١٤١٣هـ . وانظر : موجز دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢٩ ص ٨٩٦٣

(١٤) واصل بن عطاء ، أبو حذيفة البصري الغزال . مولى بني مخزوم، وقيل مولى بني ضبة، ولد سنة ثمانين بالمدينة. وكان أحد البلغاء المفوهين لكنه يلثغ بالراء يبدلها غيناً ، فكان لاقتداره على العربية وتوسعه في الكلام يتجنب الراء في خطابه ، وهو من رؤوس المعتزلة بل معلمهم الأول ، وقيل: إنما عرف بالغزَّال لأنه كان يدور في سوق الغزل فيتصدق على النساء توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر : الإمام الذهبي : تاريخ الإسلام جـ ٨ ص ٥٥٨-٥٥٩ . بتصرف . تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين ، وأخذ يقرر مذهبه في مسجد البصرة . فقال الحسن : لقد اعتزل عنا واصل (١٥).
فعلى هذه الرواية يكون الإمام الحسن البصري هو من أطلق على واصل وأتباعه من بعده اسم المعتزلة لاعتزالهم مجلسه .
لكن الإمام البغدادي يرى أن الذي أطلق على المعتزلة هذا الاسم هو عامة المسلمين وذلك لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في مسألة مرتكب الكبيرة (١٦) .
وسموهم قدرية لزعمهم أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأن ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير (١٧).
ولم يرتض المعتزلة هذه التأويلات في أسمائهم ، فسموا أنفسهم بأسماء أخرى منها : أهل الحق ، أهل التوحيد والعدل ، العدلية . ثم يقولون : إن اسم المعتزلة له فضل عظيم ، واحتجوا له بقوله تعالى : ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾ [المزمل: ١٠](١٨).
وقد ظهرت المعتزلة كفرقة في بداية القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة بالعراق (١٩)، مؤسسين فرقتهم على أصول خمسة ذكرها القاضي

(١٥) انظر : الإيجي : المواقف ص ٤١٥ . مكتبة المتنبي . القاهرة . بدون تاريخ .
(١٦) أرى بُعد هذه التسمية لأجل هذا السبب ، فإن القول في مرتكب الكبيرة قد شاع قبل المعتزلة ، حتى إن السؤال الذي قدم للإمام الحسن البصري قد اشتمل على آراء هذه الفرق وهي الخوارج والمرجئة ، فهم بذلك أول من اعتزلوا قول الأمة بأسرها إذ قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبيرة ، وقالت المرجئة بأن المعصية لا تضر مع الطاعة .
(١٧) انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٩٤ . دار الآفاق الجديدة . بيروت – لبنان ط ٢ ١٩٧٧م . وانظر : الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٦٨ . تحقيق : كمال يوسف الحوت . عالم الكتب . بيروت - لبنان ط ١ ١٩٨٣ م .
(١٨) أحمد بن يحيى المرتضى : المنية والأمل ص ٧ تحقيق د / عصام الدين محمد علي . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية – مصر . وانظر : زهدي جار الله : المعتزلة ص ٥-٦ . الأهلية للنشر والتوزيع . بيروت ١٩٧٤ م .
(١٩) المعتزلة ص ١٢ .

عبدالجبار[٢٠] وشرحها في كتاب كبير سماه شرح الأصول الخمسة ، وهذه الأصول هي : التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولم يبق المعتزلة فرقة واحدة بل انقسموا (إلى طائفتين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد ، دون أن يعني ذلك انتماء جغرافيا حقا بل اصطلاحي ، وبذلك ينقسم المعتزلة الى أربع فرق في علم الكلام تتميز كل منهما عن الأخرى ، وهم المتقدمون والمتأخرون من كل من معتزلة البصرة وبغداد) [٢١] .

---

(٢٠) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي أبو الحسين قاض أصولي .كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة ، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة ٤١٥هـ . انظر : الزركلي : الأعلام جـ ٣ ص ٢٧٣ . دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان . ط ١٥ مايو ٢٠٠٢ م .

(٢١) انظر : موجز دائرة المعارف الإسلامية جـ ٣٠ ص ٩٣٨٥ .

المبحث الثالث

مذهب الماتريدية في الرؤية

أقوال علماء الماتريدية في الرؤية

اتفق الماتريدية على جواز رؤية الله سبحانه في الآخرة . وفي تقرير ذلك وكيفيته تعددت أقوال علماء الماتريدية :

يقول الإمام الماتريدي : (القول في رؤية الرب عز وجل عندنا لازم وحق من غير إدراك ولا تفسير) (٢٢) ، (فيلزم القول بالنظر إلى الله كما قال على نفي جميع معاني الشبه عن الله سبحانه على مثل ما أضيف إليه من الكلام والفعل والقدرة والإرادة ، يجب الوصف به على نفي جميع معاني الشبه ، وكذلك القول بالهستية(٢٣) ، فمن زعم أن الله تعالى لا يقدر أن يكرم أحدا بالرؤية فهو يقدر بالرؤية التي فهمها من الخلق ، وإن كان القول بالرحمن على العرش استوى وغير ذلك من الآيات لا يجب دفعها بالعرض على المفهوم من الخلق بل يحقق ذلك على نفي الشبه فمثله خبر الرؤية) (٢٤). ثم إن قيل : كيف يرى ؟ قيل : بلاكيف ؛ إذ الكيفية تكون لذي صورة، بل يرى بلا وصف قيام، وقعود، واتكاء، وتعلق، واتصال، وانفصال، ومقابلة، ومدابرة وقصر، وطول، ونور، وظلمة، وساكن، ومتحرك، ومجانس، ومباين، وخارج، وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم أو يقدره العقل لتعاليه عن ذلك) (٢٥).

---

(٢٢) الإمام الماتريدي : التوحيد ص ١٤١ . تحقيق د /بكر طوبال أوغلي ، د / محمد أروش . دار صادر – بيروت ، مكتبة الإرشاد . استانبول – تركيا . بدون تاريخ .

(٢٣) الهستية : (كلمة فارسية الأصل تعني (ثبوت الذات) على نحو ما ذكره أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة إذ يقول : ومن دأب الشيخ – رحمه الله – أن يذكر لفظ الهستية وإن كانت فارسية ؛ لما أن لفظة الوجود مشتركة بين فعل الواحد ، وبين ثبوت الذات) . انظر : أبو المعين النسفي : تبصرة الأدلة ص ٢١١ . تحقيق ا.د / حسين آتاي . رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية – أنقرة ١٩٩٣ .وبتفصيل أكثر : انظر : عصام أنس الزفتاوي : مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية ص ٤٧٩ . رسالة ماجستير ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م . بدون .

(٢٤) التوحيد ص ١٤٣ .

(٢٥) الإمام الماتريدي : تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٢٨٥. تحقيق : فاطمة يوسف الخيمي . مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان . ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .

ويقول الإمام البزدوي (٤٩٣هـ): (قال أهل السنة والجماعة : إن الله تعالى جائز الرؤية ، وأنه يرى في الآخرة بلا محاذاة ، ولا كيفية ، ولا حد ، بل يرى كما يعلم ، إذ الرؤية نوع علم به ، ثم من يراه ومن لايراه يعرف ذلك بالأخبار ، فأهل الجنة يرون الله تعالى بأعينهم كما يعلمون الله تعالى بقلوبهم في الدارين جميعا بلاكيفية ولا محاذاة ولا تحديد) (٢٦).

فالرؤية عند الماتريدية شيء زائد على معنى العلم ، أو هي تحقيق علم المؤمنين بقلوبهم ، إذ يرون الله تعالى بأعينهم بعد علمهم له سبحانه بقلوبهم (٢٧).

والرؤية تكون للمسلمين في الآخرة بعد دخولهم الجنة ، يقول أبو المعين النسفي :(قال أهل الحق نصرهم الله ، إن الله تعالى جائز الرؤية ، يعرف ذلك بالدليل العقلي ، ويراه المسلمون في الآخرة بعد دخولهم الجنة ثبت ذلك بالدلائل السمعية) (٢٨).(فيرى لا في مكان ، ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبينه تعالى ، وغير ذلك من المعاني التي هي من أمارات الحدث) (٢٩) .

ويشرح الإمام البياضي (١٠٩٧هـ) نصا للإمام أبي حنيفة في الرؤية قائلا : (قال في الوصية والفقه الأكبر : ولقاء الله تعالى : أي كونه مرئيا لأهل الجنة زيادة في إكرامهم فيها ، حق : أي ثابت بالدلائل القطعيات من بينات الآيات ومشهورات الروايات ، واقع بلا كيفية : أي ملابسا لعدم الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام والأعراض لما سياتي ن البيان ، ولا تشبيه : له تعالى بشيء من المخلوقات ، ولا جهة : له ولا تحيز في شيء من الجهات .

وفيه إشارات :

الأولى : أنه تعالى يرى بلا تشبيه لعباده في الجنة بخلق قوة إدراك في الباصرة من غير تحيز ومقابلة ولا مواجهة ولا مسامتة .

---

(٢٦) البزدوي : أصول الدين ص ٨٣ . تحقيق د/ هانربيتر لنس ، د/ أحمد حجازي السقا . المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢٧) انظر : تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٢٨٣ .

(٢٨) أبو المعين النسفي : تبصرة الأدلة في أصول الدين ص ٥٠٨ .

(٢٩) أبو المعين النسفي : التمهيد لقواعد التوحيد ص ٦٤ .تحقيق الشيخ / محمد عبدالرحمن الشاغول . المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٦ م .

الثانية : إمكان ذلك وثبوته بالآيات والأحاديث المشهورة ، وإليه أشار بالحق في مقام الاستدلال وهي كثيرة) (٣٠).

أدلة الماتريدية على مذهبهم

اختلف الماتريدية في أي طرق الإثبات أولى للرؤية . أهو السمع ، أم العقل ، أ م هما معا ؟.

فنقل الخيالي (٨٦٢هـ) من متأخري الماتريدية أن طريقة الإمام الماتريدي ومن تبعه هي إثبات الرؤية بالسمع ، وأن ليس للعقل في ذلك مجال . وأن الإمام الأشعري قد سلك طريق العقل في الإثبات ، وهو مسلك بعيد خاطئ ، فيقول : (وقد سلك الأشعري ومن تبعه في هذا المقام طريقة لا تفضي سالكها الى المرام ، ولهذا قال الشيخ أ بو منصور الماتريدي : نحن لانثبت صحة رؤية الله تعالى بالدلائل العقلية بل نتمسك فيها بظواهر القرآن والأحاديث ونتكلم على تأويلات المخالفين ، واختاره الإمام الرازي في الأربعين ، ونحن ثبتنا قدمك فيه كيلا تركن إلى الذين ظلموا أنفسهم فيمسك فيما أخذت عذاب عظيم) (٣١) . فالخيالي يرى أن طريق الإثبات بالعقل طريق يضع صاحبه في الذين ظلموا ، وأن المستدل بالدليل العقلي غير ثابت القدم ، وأنه يخشى عليه من العذاب العظيم .

والحق غير ما ذكره العلامة الخيالي ، فإن الإمام الماتريدي لم يلغ دليل العقل مطلقا ، وإن لم ينص عليه صراحة ، فإنه قد دلل على جواز الرؤية ووقوعها بالدليل العقلي النابع من أن كل موجود تجوز رؤيته طالما لم يكن هناك مانع أو حجاب ، فالإمام أثبت صحة الرؤية ونفى الإدراك الذي هو بمعنى الإحاطة باستخدام دليل العقل عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣) في كتابه تأويلات أهل السنة (٣٢) . وقد نسب الإمام تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) الدليل العقلي للإمام الماتريدي عند شرحه لعقيدته قائلا : (ثم إن الله تعالى يرى في الآخرة ؛ لأنه

---

(٣٠) كمال الدين البياضي : إشارات المرام من عبارات الإمام ص ١٧١-١٧٢ . تحقيق : أحمد فريد المزيدي . دار الكتب العلمية . بيروت ـلبنان ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .

(٣١) الخيالي : شرح العلامة الخيالي على النونية ص ٢١٤ .تحقيق . عبد النصير الهندي .مكتبة وهبة ط ١ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

(٣٢) انظر : تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

موجود فيكون جائز الرؤية) (٣٣) . ويؤكد الإمام السبكي أن دليل العقل عند الإمام الماتريدي سبيل للجواز وليس للوجوب (٣٤).

وقد نص على دليل العقل صراحة كبار أئمة مذهب الماتريدية كأبي المعين النسفي ، والإمام البزدوي وغيرهما ممن يرون أن دليل العقل هو سبيل معرفة جواز الرؤية ، وأن الإثبات طريقه السمع .

لكنهم مع ذلك قدموا دليل النقل على العقل ، ويرون أن في دليل السمع كفاية لمن أراد الاكتفاء لاشتماله على إثبات الرؤية وجوازها معا ، فأبو المعين النسفي بعد ذكره لأدلة السمع يقول : (ثم نشتغل بعد هذا ببيان جواز رؤية الله تعالى في العقول ، وإن كان الترتيب يقتضي إثبات الجواز بالدلائل العقلية ثم الثبوت بالدلائل السمعية إلا أنا قدمنا الدلائل السمعية لما مر أن فيها الثبوت والجواز جميعا معا ، فمن اكتفى بها كان ذلك كافيا له ، فلا يحتاج إلى الخوض في الدلائل العقلية) (٣٥) .

وهذا النص الأخير يؤكد أن من أغفل النص على الدليل العقلي من الماتريدية لم يفعل ذلك إلا لأنه يرى الكفاية في دليل السمع لا أن دليل العقل غير صحيح ، أو أن الاستدلال به ظلم كما ذكر الخيالي .

ثم إن من لم يذكر دليل العقل صراحة لم يستطع البعد عنه إذا أراد أن يرد على المعتزلة فإن مبنى استدلالهم على العقل وان استأنسوا بالسمع . (٣٦)

وبذلك يتضح أن منهج الماتريدية في الاستدلال هو تقديم دليل السمع ، يليه دليل العقل ، ثم تفنيد رأي المخالفين .

أولا : الأدلة النقلية

استخرج الماتريدية من القرآن الكريم ، وسنة النبي (ﷺ) ما يدعم حجتهم في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة .

---

(٣٣) انظر : تاج الدين السبكي : السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور ص ٢٠ تحقيق : ا.د / مصطفى صائم يبرم . جامعة مرمرة . استانبول – تركيا . ط ١ ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(٣٤) نفسه .

(٣٥) تبصرة الأدلة ص ٥٢٥ -٥٢٦ .

(٣٦) سيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى في المبحث القادم .

١- أدلة الماتريدية من القرآن الكريم

يرى الماتريدية أن في القرآن الكريم ثلاث آيات صريحة الدلالة على جواز الرؤية ففصلوا القول فيها على النحو التالي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٣)

بنى الماتريدية استدلالهم في هذه الآية على أن سيدنا موسى طلب الرؤية وهو رسول من أولي العزم ، والله تعالى لم يرفض طلبه صراحة بل علقه على أمر جائز وهو استقرار الجبل ، وهذا دليل على جواز الرؤية ؛ لأنها لو لم تكن جائزة لكان ذلك جهلا من سيدنا موسى بربه سبحانه وتعالى – وحاشاه من ذلك – وفي بيان ذلك يقول الإمام الماتريدي : (لو كان لا يجوز الرؤية لكان ذلك السؤال منه جهل بربه ، ومن يجهله لا يحتمل أن يكون موضعا لرسالته أمينا على وحيه ، وبعد فإن الله تعالى لم ينهه ، ولا أيأسه ، وبدون ذلك نهى نوحا[٣٧] وعاتب آدم [٣٨]وغيرهما من الرسل وذلك لو كان لا يجوز يبلغ الكفر ثم قال ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾) [٣٩] . أي أن هذا السؤال على عظمته ، لو كان الأمر غير ممكن ، فإن الله تعالى ما عاتب سيدنا موسى عليه رغم أنه عاتب سيدنا

(٣٧) يقصد قوله تعالى : (﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ هود: ٤٦)

(٣٨) يقصد قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ٢٢) .

(٣٩) التوحيد ص ١٤١ -١٤٢ . وانظر : تبصرة الأدلة ص ٥١٤ .

نوحا على طلبه نجاة ابنه قائلا له ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ هود: ٤٦) .

ويقول الإمام البزدوي :(موسى (عليه السلام) اعتقد أن الله تعالى جائز الرؤية ، والله تعالى لم يرد عليه اعتقاده ، بل قال : لن تراني ، فقوله (لن تراني) تقرير لاعتقاده ، فإن من قال : أرني جاريتك ، فقال صاحب الجارية : لن تراها ، فيكون ذلك تقرير منه أنها جائزة الرؤية ، ولو قال : أرني ما انعدم من أفعالك ، لا يقول المخاطب : لن تراها ، ولكن يقول : يستحيل رؤية المعدوم ، ولأن موسى (عليه السلام) لا يجوز أن يكون معتقدا ما هو مستحيل) (٤٠).

والرؤية في الآية معلقة على شرط ، وهو استقرار الجبل حال الرؤية ، وهو من الأمور الجائزة عقلا، فلا يكون الشرط مستحيلا ، (والأصل أن تعليق الفعل بما هو جائز الوجود يدل على جوازه ، وتعليقه بما هو ممتنع الوجود يدل على امتناعه ، وعدم تكونه وتعليقه بما هو متحقق الوجود تحقيق له ، وهاهنا علق بما هو جائز الوجود وهو استقرار الجبل ، ودليل جواز وجوده قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ لا أنه اندك بنفسه ، وما أوجده الله تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده الله تعالى ؛ إذ الله تعالى مختار فيما يفعل فإذا جعل الجبل دكا باختياره كان جائزا أن لا يفعل دل ذلك على جواز وجوده فكان تعليق الرؤية به دليل كونها جائزة) (٤١) .

(وإنما حرم الرؤية عليه لأنه أكرمه بكلام نفسه ، فكان الواجب عليه أن يفني عمره في شكر تلك النعمة ، ولا يطلب نعمة أخرى عظيمة ، ولهذا دليل في كتاب الله تعالى ، فإن الله تعالى قال : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٤) ؛ لأنه كان لايحتمل رؤية الله تعالى في الدنيا) (٤٢).

---

(٤٠) أصول الدين للبزدوي ص ٨٤ .
(٤١) تبصرة الأدلة ص ٥١٥ .
(٤٢) أصول الدين للبزدوي ص ٨٥ .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣) .

يرى الماتريدية في هذه الآية دلالة ظاهرة على إثبات الرؤية في الآخرة ، فإن في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ وصف لهم بما هم عليه من غاية السرور بالكرامات التي أكرموا بها حتى نضرت وجوههم بذلك ، فإذا ثبت أنهم نالوا الكرامات ووصلوا إلى أنواع الملذات لم يبق لقوله ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ موضع إلا أن يصرف إلى حقيقة النظر ، فيكون في هذا إثبات القول بالرؤية (٤٣)، فإن (الله تعالى أثبت الرؤية للوجوه التي فيها العيون الناظرة ؛ ألا ترى أنه وصفها بالنضارة ، وقرن النظر بكلمة (إلى) وعداه بها إلى المنظور إليه ، وما هذا سبيله لا يفهم منه إلا نظر العين ، إلا عند اقتران قرينة توجب الصرف إليه يعلم بها أنه أراد به الانتظار ، أو الاعتبار كما في قول القائل :

وجوه يوم بدر ناظرات *** إلى الرحمن يأتي بالخلاص

علم أنه أراد به الانتظار) (٤٤). (فالنظر والرؤية سواء ، فإنه لا فرق بين قول القائل : نظرت إلى فلان ، وبين قوله : رأيته ، بل في النظر زيادة أمر بعد الرؤية ، وهو تأمل في المرئي) (٤٥).

وليس يراد بالنظر الانتظار ؛ وذلك لوجوه ذكرها الإمام الماتريدي : (أحدها : أن الآخرة ليست لوقت الانتظار ، إنما هي الدنيا هي دار الوقوع والوجود إلا وقت الفزع ، وقيل إنهم يعاينوا في أنفسهم ما له حق الوقوع .والثاني قوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ وذلك وقوع الثواب . والثالث قوله ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ و (إلى) حرف يستعمل في النظر إلى الشيء لا في الإنتظار .والرابع أن القول به يخرج مخرج البشارة تعظيم ما نالوا من النعم والانتظار ليس منه) (٤٦).

---

(٤٣) انظر : تأويلات أهل السنة جـ ٥ ص ٣٤٠ .
(٤٤) تبصرة الأدلة ص ٥٢٠-٥٢١. وانظر : البداية من الكفاية ص ٧٦ .
(٤٥) أصول الدين للبزدوي ص ٨٦ .
(٤٦) التوحيد ص ١٤٣ .

الدليل الثالث : (قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦) .
أجمع الماتريدية على أن المقصود بالزيادة في الآية هو النظر إلى الله تعالى ، ونقله الإمام الماتريدي عن أهل التأويل(٤٧) ، ومثله قوله تعالى :﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ق: ٣٥). فكلاهما مقصود به رؤية الرب عز وجل في الجنة (٤٨).
يقول الإمام البزدوي : (الزيادة : رؤية الذين أسلموا الله تعالى في الجنة ، هكذا روى الضحاك بن مزاحم عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﴿ﷺ﴾ . وهكذا روى إسحاق بن راهويه في تفسيره عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) . وعن حذيفة بن اليمان أن الزيادة النظر إلى الله تعالى . وروي عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال : إن المؤمنين إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى لهم : إن أعطيتكم هذه النعم العظيمة ، وقد ادخرت لكم نعمة أعظم من هذا ، فيقولون : وقد أعطيتنا كل النعم فما الذي ادخرت لنا ؟ فينكشف الله تعالى لهم ويتجلى لهم فينظرون إليه) (٤٩) ، وهو حديث صحيح ذكره جماعة من أهل الحديث فيهم إسحاق بن راهويه ، وهو دليل على أن الزيادة هي رؤية الله تعالى) (٥٠) ، (فإن قيل : قد روي أن الزيادة هي الرضوان ، فنقول : الصحيح ما روينا ؛ لأنه روي ذلك عن النبي ﴿ﷺ﴾ ، وذلك مروي عن بعض الصحابة ؛ لأن المغفرة والرضوان يسبقان النعم ، فلا يكونان زيادة على النعم من كل وجه ، أما رؤية الله تعالى فإنها تتأخر عن

---

(٤٧) تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٤٧٦. وانظر : الإمام النسفي : بحر الكلام ص ١٢٧ ، تحقيق د/ ولي الدين الفرفور . مكتبة دار الفرفور ط٢ ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م . وانظر : أصول الدين للبزدوي ص ٨٨ .

(٤٨) انظر : التوحيد ص ١٤٣ -١٤٤. تأويلات أهل السنة جـ ٤ ص ٥٦٨ . وانظر : أبو البركات النسفي : تفسير النسفي جـ ٣ ص ٣٦٨ . تحقيق : يوسف علي بديوي ، محيي الدين ديب مستو . دار الكلم الطيب ، بيروت -لبنان ط ١ ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٤٩) لم أقف على الحديث بهذا النص ، لكن في معناه روى النسائي بسنده . عن صهيب قال قرأ رسول الله ﴿ﷺ﴾هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند ربكم موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيء أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم) . سنن النسائي جـ ٦ ص ٣٦١ -٣٦٢ . والحديث صريح الدلالة على أن المقصود بالزيادة هو الرؤية .

(٥٠) أصول الدين للبزدوي ص ٨٧ . بتصرف يسير .

النعم فتكون زيادة على النعم ، على أن اختلاف الصحابة فيه دليل على أنهم ما أحالوا الرؤية على الله تعالى) (٥١).

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥).

يستدل الماتريدية بهذه الآية على جواز الرؤية ، وقد نقل وجه استدلالهم بها الإمام أبو البركات النسفي قائلا : (﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن الكسب الرائن على القلب ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ ﴾ عن رؤية ربهم ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ لممنوعون ، والحجب : المنع . قال الزجاج : في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيداً. وقال الحسين بن الفضل : كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في العقبى عن رؤيته. وقال مالك بن أنس رحمه الله : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه.

وقيل : عن كرامة ربهم لأنهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا في الآخرة عن كرامته مجازاة. والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها) (٥٢) .

الدليل الخامس : قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٤.

يرى أبو البركات النسفي أن الضمير في قوله تعالى : (﴿ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ يقصد به رب العزة سبحانه ، واللقاء يدل على الرؤية (٥٣).

٢- أدلة الماتريدية من السنة

احتج الماتريدية في باب الإثبات بعدد من الأحاديث النبوية يرونها صريحة في الإثبات مشهورة تفيد التواتر المعنوي (٥٤)، منها (ما جاء عن رسول الله(ﷺ)

---

(٥١) نفسه .

(٥٢) تفسير النسفي : جـ ٣ ص ٦١٥ .

(٥٣) انظر : أبو البركات النسفي : شرح العمدة في عقيدة أهل السنة ص ٢١٩ . تحقيق الدكتور / عبدالله إسماعيل . المكتبة الأزهرية للتراث . ط ١ ١٤٣٢هـ ، ٢٠١٢م . تفسير النسفي جـ ٣ ص ٣٦ .

(٥٤) التواتر المعنوي من السنة هو : (ما تواتر معناه دون لفظه . مثل : أحاديث رفع اليدين في الدعاء . فقد ورد عنه (ﷺ) نحو مائة حديث. كل حديث منها فيه أنه رفع يديه في الدعاء .لكنها في قضايا مختلفة فكل قضية منها لم تتواتر، والقَدر المشترك بينها - وهو الرفع عند الدعاء - تواتر باعتبار مجموع الطرق) . د / محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص ٢٥ . مكتبة المعارف للنشر – الرياض . ط ١١ . ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .

في غير خبر : (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لاتضامون في رؤيته) (٥٥). (والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ، ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا الرؤية العيان ، ورويت الرؤية عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ من طرق مختلفة عدة رواتها أكثر من عدة خبر الرجم) (٥٦) ، (فأحاديث الرؤية متواترة معنى فقد وردت بطرق كثيرة عن جمع من الصحابة) (٥٧) ، (حيث نقل حديث الرؤية أحد وعشرون عددا من كبراء الصحابة ، وعلمائهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فيكون مشهورا بحيث لا يسع إنكاره) (٥٨). (فإن قالوا : جواز الرؤية على الله تعالى من باب العلم ، وخبر الواحد لايوجب العلم ، فلايصح التعلق به في هذا الباب ، ودعوى الإجماع لايستقيم ؛ فإنه لم يرو عن الجميع جواز الرؤية ، بل روي عن البعض ، فيحتمل أن غيرهم خالفوهم . فنقول : هؤلاء أفتوا بما أفتوا ، وفشا فتياهم في الناس ، ولم يرو لنا إنكار أحد ، فدل ذلك على الإجماع ، ثم نقول : حديث الرؤية مشهور ، فإن المشهور : ما اشتهر عند الفقهاء وتلقوه بالقبول ،

---

(٥٥) أصول الدين للبزدوي ص ٨٧-٨٨ . والحديث أخرجه البخاري . كتاب التوحيد . باب قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣) جـ ٦ ص ٢٧٠٣ . تحقيق د/ مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير – دار اليمامة . بيروت –لبنان . ط ٣ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

(٥٦) التوحيد ص ١٤٤ ..

(٥٧) الكمال بن الهمام : المسامرة في شرح المسايرة جـ ١ ص ٣٩ . المكتبة الأزهرية للتراث ط ١ ٢٠٠٦م .

(٥٨) البداية من الكفاية ص ٧٧. وفي تفصيل ذلك نقل أبو المعين النسفي عن أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم (٣٢٠هـ) في تصنيف له سماه (مسألة في سلوك أهل العدل بين المشبهة والمعطلة) قوله : (اتفقت على حديث الرؤية عدة من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ورضي عنهم كلهم أئمة منهم : ابن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وصهيب ، وأنس بن مالك ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وعمار بن ياسر ، وجابر بن عبدالله ، ومعاذ بن جبل ، وثوبان ، وعمار بن روبية الثقفي ، وحذيفة عن أبي بكر الصديق ، وزيد بن ثابت ، وجرير بن عبدالله ، وأبو أمامة ، وبريدة الأسلمي ، وأبو برزة ، وعبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، أحد وعشرون رجلا من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ورضي عنهم كلهم رووا عن رسول الله ﴿ﷺ﴾في إثبات الرؤية ، فمن رد هذا فقد قصد تكذيب هؤلاء) . انظر : تبصرة الأدلة ص ٥٢٥ . وانظر : ابن قطلوبغا الحنفي : شرح على المسامرة جـ ١ ٣٩ .

فهذا الحديث كذلك ، والمشهور عندنا يوجب العلم كالمتواتر(٥٩)، وإن كان دون المتواتر على ما ذكرنا في أصول الفقه) (٦٠).

أدلة الماتريدية العقلية

استأنس بعض الماتريدية بأدلة من العقل على جواز الرؤية ، واستدل بها آخرون منهم معتبرين أن هذه المسألة مما يثبت بالعقل والسمع جميعا ، بل هي جائزة بالعقل واجبة بالسمع ، على نحو ما قال أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة (٦١).

وقد بنى الماتريدية أدلتهم العقلية على فكرة الوجود ، وهي أن كل موجود يصح أن يرى طالما لم تعق عن رؤيته العوائق .

يقول الإمام البزدوي : (والدليل المعقول : هو أن الله تعالى موجود باق معلوم ، والموجود الباقي المعلوم لا تستحيل رؤيته كسائر الموجودات الباقية المعلومة ، ولاشك أن الله تعالى موجود وباق ومعلوم ، فإن خصومنا يقرون أنه موجود وباق ومعلوم ، ولاشك أنه باق ، ولأن الرؤية نوع علم يقع من جهة عضو خاص عادة ، لا أن يكون ذلك العضو شرطا لوقوع العلم لامحالة ، كذا هذا ، وإذا كان هذا نوع علم ثم يصير جميع الموجودات الباقية داخلة في هذا النوع من العلم ، فكذا الله تعالى لما كان موجودا باقيا ينبغي أن يدخل في هذا العلم كما دخل

---

(٥٩) يقول الإمام البزدوي : (المشهور ما كان من الآحاد في الأصل ثم انتشر فصار ينقله قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب، وهم القرن الثاني بعد الصحابة - رضي الله عنهم -، ومن بعدهم وأولئك قوم ثقات أئمة لا يتهمون فصار بشهادتهم وتصديقهم بمنزلة المتواتر حجة من حجج الله تعالى حتى قال الجصاص: إنه أحد قسمي المتواتر، وقال عيسى بن أبان: إن المشهور من الأخبار يضلل جاحده، ولا يكفر مثل حديث المسح على الخفين وحديث الرجم وهو الصحيح عندنا؛ لأن المشهور بشهادة السلف صار حجة للعمل به كالمتواتر فصحت الزيادة به على كتاب الله تعالى، وهو نسخ عندنا وذلك مثل زيادة الرجم والمسح على الخفين والتتابع في صيام كفارة اليمين لكنه لما كان في الأصل من الآحاد ثبت به شبهة فسقط به علم اليقين، ولم يستقم اعتباره في العمل فاعتبرناه في العلم؛ لأنا لا نجد وسعا في رد المتواتر، وإنما يشك فيه صاحب الوسواس، ونخرج في رد المشهور؛ لأنه لا يمتاز عن المتواتر إلا بما يشق دركه لكن العلم بالمتواتر كان لصدق في نفسه فصار يقينا، والعلم بالمشهور لغفلة عن ابتدائه وسكون إلى حاله فسمي علم طمأنينة، والأول علم اليقين) . انظر : الإمام البزدوي : كنز الوصول الى معرفة الأصول أو أصول البزدوي ص ١٥٢ . مطبعة جاويد بريس – كراتشي .باكستان .

(٦٠) أصول الدين للبزدوي ص ٨٨-٨٩ .

(٦١) تبصرة الأدلة ص ٥٠٨ .

في العلم الاخر دون سائر الأعيان) (٦٢). فالرؤية ثابتة لله تعالى وكذا العلم (بخلاف الشم والذوق واللمس والسمع ، حيث لايدخل الله تعالى في هذه الأنواع من العلوم ؛ لأنه لايدخل تحت تلك الأنواع من الأنواع كل موجود ، فهذا لا يتعلق لا لموجود فحسب ، بل يتعلق بموجود خاص ، فإن السمع يتعلق بالكلام ، والشم يتعلق بالروائح ، والذوق يتعلق بالطعم والحرارة والبرودة ، واللمس يتعلق باللين والخشونة ، أما الرؤية فلا تتعلق إلا بالموجود فكانت كالعلم المطلق حيث يتعلق بكل موجود) (٦٣).

ويقول أبو المعين النسفي : (والمعقول أنا نرى في الشاهد الجواهر والألوان والأكوان ، إذ كما تميز بحاسة البصر بين جوهر وجوهر تميز بين الأبيض والأسود والمتحرك ، والساكن والمجتمع والمفترق ، ولو كان السواد والبياض والحركة والسكون والاجتماع والافتراق غير مرئية ، ولم ير إلا الجواهر لما وقع التمييز بين الأبيض والأسود ، والمتحرك والساكن كما لا يقع بين العالم والجاهل والسفيه والساخط والراضي ، ثم لما ثبتت رؤية هذه المعاني ، ولم نعلم وضعا جامعا بين هذه الأجناس إلا الوجود إذ لايوجد جوهرية في الألوان والأكوان ، ولا لونية في الحركة والسكون ، وعند السبر (٦٤) يتبين أن ليس وراء الوجود صفة تجمع هذه الأجناس ، فعلمنا أن المعنى المطلق للرؤية المجوز لها ليس إلا الوجود ، وما لايرى من الموجودات فلعدم إجراء الله تعالى العادة في إثبات رؤيتنا لها لا لاستحالتها(٦٥) ، والوجود علة مطلقة مجوزة للرؤية لا موجبة لها) (٦٦).

---

(٦٢) أصول الدين للبزدوي ص ٨٩ .

(٦٣) نفسه . وانظر : شمس الدين السمرقندي : الصحائف الإلهية ص ٣٦٢ . تحقيق الدكتور / أحمد عبدالرحمن الشريف . رسالة دكتوراة بدون دار طبع .

(٦٤) السبر: (السبر لغة الاختبار ، وهو حصر الأوصاف الموجودة في الأصل المقيس عليه ، وإبطال ما لا يصلح منها للعلية ، فيتعين الباقي لها . كأن يحصل أوصاف البُر في قياس الذرة مثلا عليه في الطعم وغيره ويبطل ما عدا الطعم بطريقه فيتعين الطعم للعلية) .انظر : الشيخ / حسن العطار : حاشية العطار على جمع الجوامع جـ ٢ ص ٣١٣. دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان .١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

(٦٥) حيث أصبحنا نرى بين الحين والآخر عددا من المخلوقات الموجودة الخفية ، والتي استطاع العلماء تطوير أدوات دقيقة لرؤيتها رغم عدم رؤيتها قبل ذلك .

(٦٦) التمهيد لقواعد التوحيد ص ٦٦ . وانظر : البداية من الكفاية ص ٧٧- ٧٨ .

المبحث الثالث

مذهب المعتزلة في الرؤية

تمثل مسألة رؤية الله تعالى عند المعتزلة جانبا هاما من جوانب العقيدة الإسلامية حيث إنهم قد ربطوا بين مسألة الرؤية وبين مسألة نفي الجهة والتشبيه ، وإثبات التنزيه لله تعالى .

أقوال المعتزلة في الرؤية

أجمع المعتزلة على نفي رؤية الله (سبحانه وتعالى) في الآخرة ، وقد نقل هذا الإجماع القاضي عبدالجبار قائلا : (ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية) (٦٧). وهذا عند أهل العدل بأسرهم (٦٨).

وقد جوز المعتزلة الاستدلال بالسمع على هذه المسألة مع العقل ؛ (لأن صحة السمع لا تقف عليها ، وكل مسألة لا تقف عليها صحة السمع فالاستدلال عليها بالسمع ممكن) (٦٩).

وعلى هذا فإن المعتزلة لا يكفرون مخالفيهم في هذه المسألة يقول القاضي عبدالجبار : (ولهذا لم نكفر من خالفنا في هذه المسألة ؛ لما كان الجهل بأنه تعالى لا يرى لا يقتضي جهلا بذاته ولا بشيء من صفاته) (٧٠).

لكن نقل أبو الحسين الخياط (٣٠٠هـ) عن ابن الراوندي (٢٩٤هـ) عن أبي موسى المردار (٢٢٦هـ) أنه كان يزعم أن من ذهب إلى أن الله تعالى يرى بالأبصار بلا كيف فهو كافر . وبين الخياط أن المردار لم يصرح بهذا بل هذا القول من لوازم مذهبه فيقول : (اعلم علمك الله الخير أن أبا موسى كان يزعم

---

(٦٧) القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ . تحقيق الدكتور / عبدالكريم عثمان . مكتبة وهبة . القاهرة – مصر .

(٦٨) القاضي عبدالجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ ٤ ص ١٣٩. تحقيق الدكتور / محمد مصطفى حلمي ، الدكتور /أبو الوفا الغنيمي . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة –مصر .

(٦٩) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣ . والمقصود هنا منع الدور والتسلسل ، فالمعتزلة لا يستدلون بالسمع على ما ثبت به السمع حتى لا يدور الأمر .

(٧٠) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣ .

أن من قال : إن الله يرى بالأبصار على أي وجه قاله فمشبه لله بخلقه ، والمشبه عنده كافر بالله تعالى) (٧١).

ولعل القاضي عبدالجبار حكى قول جمهور المعتزلة ، أو لم يعتد برأي أبي موسى لعدم تصريحه به . وعلى هذا فالحق ما ذهب اليه القاضي في نقله عدم تكفير المخالف .

أدلة المعتزلة على مذهبهم وموقف الماتريدية منها

استند المعتزلة في دعواهم على أدلة من النقل وأخرى من العقل . ويلاحظ في منهج المعتزلة في الاستدلال على هذه المسألة : تقديم بعضهم للدليل النقلي على العقلي كالقاضي عبدالجبار ، حيث ابتدأ بالدليل النقلي في كتابيه : (شرح الأصول الخمسة ، وكتاب المختصر في أصول الدين) . وقدم بعضهم الدليل العقلي على النقلي كالزمخشري في كتابه (المنهاج في أصول الدين) .

وعلى ذلك سنبدأ بسرد أدلتهم النقلية .

الأدلة النقلية

يقول القاضي عبدالجبار : (إن قال : إن الرؤية تجوز على الله تعالى ، قيل له : الرؤية بالأبصار على الله تستحيل ، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه . فإن قال : فما دليلكم على هذا والخلق لكم مخالفون فيه ، فيقولون : إنه يرى بالأبصار في الآخرة ، ويخص الله تعالى المؤمنين بذلك دون الكافرين ، ويكون أعظم مننه ونعمه عليهم ولديهم . قيل : الذي يدل عليه :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ الأنعام: ١٠٣ (٧٢).

وإدراك البصر ورؤية البصر سواء في اللغة لا يختلفان ، فإذا صح ذلك فيجب أن نقطع بأنه تعالى لا يرى بالأبصار) (٧٣).

---

(٧١) انظر : أبو الحسين الخياط : الانتصار ص ٦٧ . تحقيق : دكتور نيبرج . مكتبة الدار العربية للكتاب ـ مصر ، أوراق شرقية ـ لبنان . ط٢ ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٧٢) هذه الآية تعتبر عمدة الأدلة عند المعتزلة في نفيهم للرؤية ، وقد تكلموا فيها بكثير من الإطناب مؤكدين على اتفاق المعنى بين الإدراك والرؤية .

ثم يقول : (ووجه الدلالة في الآية هو ما قد ثبت من أن الادراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية ، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر ، ونجد في ذلك تمدحا راجعا الى ذاته ، وما كان نفيه تمدحا راجعا الى ذاته كان اثباته نقصا ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال . فإن قيل : لم قلتم : إن الإدراك إذا اقترن بالبصر لم يحتمل إلا الرؤية ؟ قلنا : لأن الرائي ليس بكونه رائيا حالة زائدة على كونه مدركا ؛ لأنه لو كان أمرا زائدا عليه لصح انفصال أحدهما عن الآخر إذ لا علاقة بينهما من وجه معقول ، والمعلوم خلافه) (٧٤).

وفي نفس المعنى يقول الزمخشري : (المعنى : أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه ؛ لأنه متعال أن يكون مُبصراً في ذاته ؛ لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام ، والهيئات﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ ، وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك ، وهو ﴿ ٱللَّطِيفُ ﴾ يلطف عن أن تدركه الأبصار) (٧٥).

فالمعتزلة لا يفرقون بين الإدراك والرؤية ، بل يساوون بينهما في الدلالة فمتى نُفي أحدهما انتفى الآخر يقول القاضي عبدالجبار : (إدراك البصر ، ورؤية البصر سواء في اللغة لا يختلفان ، فإذا صح ذلك فيجب أن نقطع بأنه تعالى لا يرى بالأبصار) (٧٦) .

وقد أجاب الماتريدية عن هذا الدليل بأنه سبيل لإثبات الرؤية وليس لنفيها ، متفقين على أن الإدراك شيء غير الرؤية ، وليس كما قال المعتزلة .

يقول الإمام الماتريدي : (ولا نقول بالإدراك لقوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فقد امتدح به بنفي الإدراك لا بنفي الرؤية وهو كقوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ طه:

---

(٧٣) القاضي عبدالجبار : المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٢٢٠ . تحقيق : ا.د / محمد عمارة . دار الشروق ط٢ ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م . منقول بتصرف يسير .

(٧٤) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٣-٢٣٤ .

(٧٥) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل جـ ٢ ص ٥٢ . تحقيق : عبدالرزاق المهدي . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .

(٧٦) المختصر في أصول الدين جـ ١ ص ٢٢٠ .

١١٠) (٧٧)، كان في ذلك إيجاب العلم ونفي الإحاطة فمثله في حق الإدراك) (٧٨) .ويعلل الإمام الماتريدي ما ذكره بقوله : (إن الإدراك إنما هو الإحاطة بالمحدود ، والله يتعالى عن وصف الحد إذ هو نهاية وتقصير عما هو أعلى منه ، على أنه واحدي الذات ، والحد وصف المتصل الأجزاء حتى ينقضي مع إحالة القول بالحد ، أو كان ولا ما يحد، أو به يحد فهو على ذلك لا يتغير ، على أن لكل شيء حدا يدرك بسبيله نحو الطعم واللون والذوق والرائحة وغير ذلك من حدود خاصية الأشياء ، جعل الله لكل شيء من ذلك وجها يدرك به ويحاط به حتى العقول والأعراض ، فأخبر الله أنه ليس بذي حدود وجهات هي طرف إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات ، وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا) (٧٩).

فثمت فارق بين الرؤية والإدراك فإن (القول بالرؤية يقع على وجوه لا يعلم حقيقة كل وجه من ذلك إلا بالعلم بذلك الوجه ، حتى إذا عبر عنه بالرؤية صرف إلى ذلك ، وما لا يعرف له الوجه بدون ذكر الرؤية لزم الوقف في مائيتها على تحقيقها .

وأما الإدراك إنما هو معنى الوقوف على حدود الشيء ، ألا ترى أن الظل في التحقيق يرى لكنه لا يدرك إلا بالشمس وإلا كان مرئيا على ما يرى لوقت تسبح الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية إلا بما يتبين له الحد ، وكذلك ضوء النهار يرى لكن حده لا يعرف بذاته وكذلك الظلمة ؛ لأن طرفها لا يرى فيدرك ويحاط به وبالحدود يدرك الشيء وإن كان يرى لا به ولذلك ضرب المثل بالقمر أنه لا يعرف وحده ولا سعته ليوقف ويحاط به ويرى بيقين) (٨٠) .

وعلى ذلك : (فتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب ؛ لأن المنفي هو الإدراك لا الرؤية ، والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده ، وما يستحيل عليه

---

(٧٧) هذا يعتبر من دقيق مقارنة الإمام بين الرؤية والعلم ، فالمعتزلة متفقون على علمنا بالله تعالى ، لكنهم وجميع المسلمين يؤمنون بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ فنحن نعلم عن الله تعالى ماأعلمنا به ورسوله عنه سبحانه ، ، ولا نعلم عنه كل شيء ، كذلك الحال في الرؤية نراه كما أخبر ، ولكن لاندركه إدراك إحاطة كما أخبر سبحانه وتعالى .

(٧٨) التوحيد ص ١٤٥ . وانظر : تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٧٩) نفسه ص ١٤٥ ـ١٤٦ .

(٨٠) المرجع السابق ص ١٤٦ . وانظر : أصول الدين للبزدوي ص ٩٢ .

الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته ، فنزّل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم ، ونفى الإحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فهكذا هذا ، على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي إدراك مع تحقق الرؤية إذا انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات ، فكانت الآية حجة لنا عليهم . ولو أمعنوا النظر فيها لاغتنموا التفصي عن عهدتها) (٨١) .

وقد يجاب بأن الآية محمولة على الدنيا وليس الآخرة على معنى التوافق بين الإدراك والرؤية ، يقول البزدوي : (قال بعض أهل السنة والجماعة : إنه يدرك بالبصر ؛ لأن الرؤية هي الإدراك بالبصر ، يقال : رأى فلان فلانا : أدركه ببصره ، وحملوا قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ الأنعام: ١٠٢) في الدنيا لأنه بيان الحال الراهنة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣) (٨٢) .

فالآية ليست صالحة للاستدلال على نفي الرؤية فإنها تؤكد كما يرى الإمام الماتريدي عجزنا عن الإحاطة به سبحانه وتعالى ؛ لتعاليه عن الإدراك والإحاطة . ولو فرض أن الرؤية والإدراك بمعنى واحد ، فإن الآية بعلاقتها بما قبلها تؤكد أن الكلام في الدنيا وليس في الآخرة .

الدليل الثاني

استدل المعتزلة على نفي الرؤية بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٥٥)، ومثله قوله

---

(٨١) تفسير النسفي جـ ١ ص ٥٢٧ .

(٨٢) أصول الدين للبزدوي ص ٩٢ .

تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ النساء: ١٥٣) .

ووجه الدلالة فيه أنهم (لو طلبوا أمرا جائزا لما ظلموا ولا صعقوا كما طلب إبراهيم إحياء الموتى ، فما ظلم ولا صعق ، ولا يلزم قول موسى (عليه السلام) ﴿ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ ؛ لأنه إنما قال ذلك ليبكت الذين سألوا الرؤية بالحجة على إحالتها ، وليلقمهم الحجر عند استماع قوله (لَن تَرَىٰنِى) [(٨٣)]. (وفي الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول ، وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال ، وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام ، أو الأعراض . فرادوه بعد بيان الحجة ، ووضوح البرهان ولجوا ، فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة ، كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ، ودلالة على عظمهما بعظم المحنة) [(٨٤)] .

وأجاب الماتريدية عن هذا الدليل بأن العذاب إنما وقع عليهم بسبب كفرهم ، وليس بسبب طلبهم الرؤية ، يقول أبو البركات النسفي : (وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت. قلنا : إنما عوقبوا بكفرهم لأن قولهم : إنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم . ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة ، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم. ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد) [(٨٥)]. ثم يجيب عن استدلال المعتزلة بالآية الثانية بأن العذاب إنما وقع عليهم لتعنتهم في السؤال فإن قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ يعني : العذاب الهائل أو النار المحرقة ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ على أنفسهم بسؤال شيء في غير موضعه ، أو بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال

---

(٨٣) الزمخشري : المنهاج في أصول الدين ص ١٧ . تحقيق وتقديم : سابينا شميدكة . الدار العربية للعلوم . ط١ ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م .
(٨٤) الكشاف جـ ١ ص ١٧٠ .
(٨٥) تفسير النسفي جـ ١ ص ٩٠. وانظر : تأويلات أهل السنة جـ ١ ص ٧٧ .

الرؤية ؛ لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة ، ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فإنه قال﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾الأعراف: ١٤٣) وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت) (٨٦) .

الدليل الثالث

من أدلة المعتزلة في نفي الرؤية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٣) .

يقول الزمخشري : (إن قلت : الرؤية عين النظر ، فكيف قيل : أرني أنظر إليك ؟ قلت : معنى أرني نفسك ، اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك ، فإن قلت : فكيف قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل : لن تنظر إليّ لقوله : ﴿ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ ؟ قلت : لما قال : ﴿ أَرِنِيٓ ﴾ بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك ، علم أن الطِّلْبَة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه ، فقيل : لن تراني ، ولم يقل لن تنظر إليّ) (٨٧).

وقد أكد القاضي عبدالجبار هذا المعنى بقوله : (إن الرؤية إذا قرن اليها النظر وعداه بإلى فالمراد به الرؤية بالبصر، وقد قال سبحانه:﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ فلما قرنه بالنظر وعداه بإلى وجب حمل ظاهره على الرؤية بالبصر ؛ لأنه لايصح أن يكون المراد بهذا النظر الفكر ؛ لأنه لايقال في نظر الفكر ينظر إليه على الحقيقة ، وإنما يقال : ينظر فيه) (٨٨).

(٨٦) تفسير النسفي جـ ١ ص ٤١١ .
(٨٧) الكشاف جـ ٢ص ١٤٧ .
(٨٨) المغني جـ ٤ ص ١٦٣ .

ولماذا طلب سيدنا موسى الرؤية مع تحققه من عدمها ؟ يجيب الإمام الزمخشري بأن ذلك كان بسبب قومه والسبب أن سيدنا موسى (عليه السلام) : (ما طلب الرؤية إلاّ ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً ، وتبرأ من فعلهم ، وليلقمهم الحجر ، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق ، فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا : لا بدَّ ، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعوا النصّ من عند الله باستحالة ذلك ، وهو قوله : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة ، فلذلك قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾. فإن قلت : فهلا قال : أرهم ينظروا إليك ؟ قلت : لأنّ الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون ، فلما سمعوا كلام رب العزّة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه ، كما أسمعه كلامه فسمعوه معه ، إرادة مبنية على قياس فاسد ، فلذلك قال موسى : أرني أنظر إليك ، ولأنه إذا زجر عما طلب ، وأنكر عليه في نبوّته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى ، وقيل له : لن يكون ذلك : كان غيره أولى بالإنكار ، لأنّ الرسول إمام أمته ، فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعاً إليهم) (٨٩). (فإن قلت : ما معنى (لَن) ؟ قلت : تأكيداً للنفي الذي تعطيه (لا) وذلك أن (لا) تنفي المستقبل . تقول : لا أفعل غداً ، فإذا أكدت نفيها قلت : لن أفعل غداً . والمعنى : أنّ فعله ينافي حالي ، كقوله : ﴿ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ الحج: ٧٣) فقوله : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣) نفي للرؤية فيما يستقبل . و ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ تأكيد وبيان ، لأنّ المنفي مناف لصفاته . فإن قلت : كيف اتصل الاستدراك في قوله :) وَلَاكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ (بما قبله ؟ قلت : اتصل به على معنى أنّ النظر إليّ محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر : وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم ، كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية ؟ لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من علم أثره ، كأنه عزّ وعلا حقق عند طلب

(٨٩) الكشاف جـ ٢ص ١٤٤ -١٤٥. وانظر : المغني جـ ٤ ص ١٦٤ .

الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله : ﴿ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ مريم: ٩٠ - ٩١) (٩٠).

ويصرف الزمخشري تنزيه سيدنا موسى لربه سبحانه وتعالى ، وإعلانه أنه أول المؤمنين بأن الله تعالى لايرى قائلا:﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ من صعقته ﴿ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها﴿ تُبۡتُ إِلَيۡكَ ﴾ من طلب الرؤية﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بأنك لست بمرئيّ ولا مدرك بشيء من الحواس(٩١) . فإن قلت : فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته ، فممّ تاب ؟ قلت : من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه ، من غير إذن فيه من الله تعالى ، فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبها وجعله دكاً ، وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه ، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين) (٩٢).

ومجمل الدليل عند المعتزلة يتلخص في أربعة نقاط :

الأولى : إن سيدنا موسى طلب الرؤية على الحقيقة وليس على المجاز .

الثانية : إن سيدنا موسى كان يعرف استحالة الرؤية ولكنه طلبها لأجل قومه .

الثالثة : " لن " في قوله تعالى﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ نفي تأبيدي للرؤية .

الرابعة : سيدنا موسى (عليه السلام)تاب من طلب الرؤية ، وآمن بأنه سبحانه وتعالى غير مرئي .

وأجاب الماتريدية بعدم التسليم للمعتزلة لما ذهبوا إليه ، يقول أبو اليسر البزدوي : : (إن قالوا : الله تعالى نفى الرؤية بقوله : (لن تراني) لأن كلمة (لن) كلمة تأبيد ، فيكون ذلك تأبيدا لنفي الرؤية .

(٩٠) الكشاف جـ ٢ص ١٤٥ -١٤٦.

(٩١) انظر : المغني جـ ٤ ص ١٦٥

(٩٢) الكشاف جـ ٢ص ١٤٧ . المغني جـ ٤ ص ١٦٥

فنقول : كلمة (لن) للتأبيد ، ولكن تأبيد الدنيا لا الآخرة ، فيوجب هذا تأبيد نفي الرؤية في الدنيا في حق موسى (عليه السلام)) (٩٣).
وبتفصيل آخر يقول الإمام الصابوني (٥٨٠هـ) : (قوله : (لن تراني) يقتضي نفي الوجود لا نفي الجواز ، فلا يقع التعارض ، وقوله : إنه نفي على التأبيد . لانسلم بأن كلمة (لن) للتأبيد بل هي للتأكيد فحسب ، الدليل عليه قوله تعالى خبرا عن مريم (رضي الله عنها) : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم: ٢٦) قرنها باليوم وأنه للتوقيت ، والتأقيت مع التأبيد يتناقضان ، ولو كان للتأبيد لكان المراد منه النفي في دار الدنيا لا في دار الآخرة ، والدليل عليه : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ البقرة: ٩٥) ، ثم أخبر أنهم يتمنون الموت في الآخرة بقوله (جل جلاله) : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ الزخرف: ٧٧) (٩٤).
فلفظة (لن) ليست للتأبيد المطلق بل هي مقيدة ، فالنفي متعلق بالدنيا لا بالآخرة ، ويؤكده تعليق الرؤية على شرط استقرار الجبل ، (فإن قيل : الله تعالى علق الرؤية بشرط كان في علم الله أنه لايكون ، فإنه قال : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ أي الجبل ، ولم يستقر الجبل ، وتعليق الشيء بشرط لايكون تقريرا للنفي .
فنقول : كان تقريرا للنفي لكن في الدنيا ، أما في الآخرة فلا ، وموسى (عليه السلام) ما رآه في الدنيا ويراه في الاخرة ، وهذا دليل أيضا أنه جوز الرؤية ، فإنه لو لم تكن جائزة الرؤية لما علق الرؤية بشرط لايكون ، فإن تعليق مالا يكون بما لايكون مستحيل ، إنما يعلق ما لايستحيل وجوده بشرط لايكون ، كدخول الجنة للكفار علق بشرط لايكون(٩٥) ؛ لأن دخول الجنة لايستحيل

(٩٣) نفسه .
(٩٤) نور الدين الصابوني : البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين ص ٧٥-٧٦ .تحقيق
(٩٥) يقصد قوله تعالى : (﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ الأعراف: ٤٠) .

وجوده ، وأما تعليق ما يستحيل وجوده بشرط لايكون أو يكون مستحيلا ، هو سفه محض) (٩٦).

(فإن قالوا : موسى (عليه السلام) تاب عما سأل وفعل فقال : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فلما تاب عن اعتقاده دل أن اعتقاده كان باطلا .

فنقول : تاب عن السؤال لاعن الاعتقاد ، فإن الله تعالى رد عليه السؤال لا الاعتقاد ، والسؤال كان خطأ ؛ لأنه كان يجب عليه الاشتغال بالشكر بما أنعم الله عليه من النعم والإحسان ، ولأنه سأل الرؤية في غير وقتها ؛ لأن الرؤية زيادة على نعم المبرة ، وذلك لايتصور إلا في الآخرة ، فإنه كان يريد أن يراه رؤية كرامة وإنعام ، فتاب عن هذا ، على أن العادة بين الناس أنهم متى رأوا فزعا يتوبون إلى الله تعالى خوفا من البلاء من غير ذنب سبق منهم) (٩٧) .

وهذا هو الحق لا ما ذهب إليه المعتزلة ، فإن المعتزلة قرروا أن السؤال كان من سيدنا موسى لأجل قومه ، وليس لنفسه ؛ لأنه يعلم أن الله تعالى غير مرئي وقد قرر المعتزلة ذلك ، ثم بعد ذلك قرر بعضهم أن التوبة كانت من سؤال الرؤية ، وأن سيدنا موسى أول المؤمنين بأن الله تعالى لايرى ، وهذا منهم تناقض ؛ إذ كيف يعلم أن الله لا يرى ، ثم يسأله الرؤية ، ثم يقر بأنه أول المؤمنين بأن الله لا يرى بعد أن خر صعقا . ولدفع هذا التناقض لابد من الإقرار أن التوبة إنما كانت عن السؤال لاعن الاعتقاد .

موقف المعتزلة من الآيات المجوزة للرؤية

حرص المعتزلة على إثبات نفي الرؤية استدلالا بالقرآن الكريم ، فعملوا على إظهار الآيات النافية للرؤية على أنها قطعية الدلالة – كما مر - ، ثم أولو الآيات التي تدل في ظاهرها على إثبات الرؤية ، مؤكدين أنها ظنية في دلالتها ، وأن الظني يحمل على القطعي ، والمؤول على غير المؤول ، بل إن بعضهم كالقاضي عبدالجبار يرى هذه الآيات دليل على المثبتين للرؤية إذا أولت على وجهها الصحيح ، ومن هذه الآيات :

---

(٩٦) أصول الدين للبزدوي ص ٨٥ .
(٩٧) نفسه ص ٨٥-٨٦ .

١- **موقف المعتزلة من قوله تعالى :** ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣) .

يقول القاضي عبدالجبار : (إن قال : فقد قال تعالى : (﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، ففي هذا إثبات للرؤية . قيل له : لم يقل : ناظرة بالبصر ، وقد يكون الناظر ناظرا على وجوه ، بأن يكون مفكرا ومنتظرا للرحمة ، وطالبا للرؤية فهو محتمل إذا ، ولا يترك به مالا يحتمل ، وتأويله منتظرة لرحمة الله ، وناظرة إلى ثوابه ونعيمه في الجنة) (٩٨) . (فكأنه تعالى قال : وجوه يومئذ ناضرة لثواب ربها منتظرة ، والنظر بمعنى الانتظار قد ورد ، قال تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة: ٢٨٠) ، أي فانتظار . وقال جل وعز فيما حكى عن بلقيس : ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل: ٣٥) ، أي منتظرة) (٩٩)، (فإن قيل : النظر إذا عدي بإلى كيف يكون بمعنى الانتظار ؟ قلنا : كما قال الله تعالى : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ ذكر النظر وعداه بإلى وأراد به الانتظار كما يقول العرب على ما قاله الخليل :

إني إليك لما وعدت لناظر ***نظر الفقير إلى الغني الموسر

فإن قيل : النظر إذا علق بالوجه وعدي بإلى فكيف يراد به الانتظار ، قلنا : عن ذلك غير ممتنع وعلى هذا قول الشاعر :

وجوه يوم بدر ناظرات *** الى الرحمن يأتي بالخلاص

على أن (إلى) في الآية على ماقيل هو حرف الجر و لا حرف البعدية ، وإنما هو واحد الآلاء التي هي النعم فكأنه تعالى قال : (وجوه يومئذ ناضرة ، آلاء ربها منتظرة ، ونعمه مترقبة) (١٠٠) .

ثم يقول : (قالو على التأويل : إن هذه الآية وردت في شان أهل الجنة ، فكيف يجوز أن يكون بمعنى الانتظار ؛ لأن الانتظار يتضمن الغم والمشقة ، ويؤدي

---

(٩٨) المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٢٢٠ .
(٩٩) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٥ بتصرف . وانظر : المغني جـ ٤ ص ٢٠٧ .
(١٠٠) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٥ -٢٤٦ .

إلى التنغيص والتكدير حتى يقال في المثل : الانتظار يورث الاصفرار ، والانتظار الموت الحمر ، وهذه الحالة غير جائزة على أهل الجنة .
وجوابنا أن الانتظار لا يقتضي تنغيص العيش على كل حال ، وإنما يوجب ذلك متى كان المنتظر لا يتعين وصول ما ينتظره اليه ، أو يكون في جنس ولا يدري متى يتخلص من ذلك ، وهل يتخلص أم لا ، فإنه والحال هذه يكون في غم وحسرة ، فأما إذا تيقن وصوله فلا يكون في غم وحسرة ، خاصة إذا كان في حال انتظاره في أرغد عيش وأهناه ، ألا ترى أن من كان على مائدة وعليها ألوان الطعام اللذيذة يأكل منها ويلتذ بها ، وينتظر لونا آخر ويتيقن وصوله اليه ، فإنه لا يكون في تنغيص ولا تكدير ، بل يكون في سرور متضاعف ، حتى لو قدم إليه الأطعمة كلها لتبرم بها . كذلك حال أهل الجنة لا يكونون في غم وتنغيص إذا كانوا يتيقنون وصولهم إلى ما ينتظرون على كل حال) (١٠١) .

وقد نقد الماتريدية هذه التأويلات التي أولها المعتزلة ورأوا انها تأويلات بعيدة عن المراد من الآية :

١- نقد معنى الانتظار

يقول الإمام الماتريدي : (قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (إلى) حرف يستعمل في النظر إلى الشيء لا في الانتظار ، و القول به يخرج مخرج البشارة لعظيم ما نالوه من النعم، والانتظار ليس منه، مع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم قضاء على الله، فيلزم القول بالنظر إلى الله، كما قال على نفي جميع معاني الشبه عن الله سبحانه على ما أضيف إليه من الكلام والفعل والقدرة والإرادة أن يجب الوصف به على نفي جميع معاني الشبه) (١٠٢).
وبتفصيل آخر يقول أبو المعين النسفي : (قرن النظر بكلمة إلى وعداه بها إلى المنظور إليه ، وما هذا سبيله لايفهم منه إلا نظر العين إلا عند اقتران قرينة توجب الصرف إليه يعلم بها أنه أراد به الانتظار أو الاعتبار كما في قول القائل:
وجوه يوم بدر ناظرات *** إلى الرحمن يأتي بالخلاص
فإنه لما اقترن بقوله ناظرات قوله يأتي بالخلاص علم أنه أراد به الانتظار ، وفيما نحن فيه مثل هذه القرينة منعدمة ، فلن يحمل إلا على النظر .

(١٠١) المرجع السابق نفسه ص ٢٤٧-٢٤٨ .
(١٠٢) تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٢٨٢ .

وبهذا أبطلنا تأويل من قال : معناه ثواب ربها منتظرة ؛ لما مر أن النظر المضاف إلى الوجه المعدى إلى المنظور إليه بحرف (إلى) أن يكون المراد منه نظرا لا انتظارا .
فأما إذا أريد به الانتظار فإنه لايعلق بالوجه ولا يعدى بإلى ، قال الله تعالى خبرا عن تلك المرأة ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ النمل:٣٥) ، لم يقيد بالوجه ولا عدي بكلمة (إلى) لما أريد به الانتظار) (١٠٣) .
ثم يضيف : (والذي يدل على ان حمل الآية على الانتظار فاسد ، وجهان من المعقول :أحدهما راجع إلى نفس المنتظَر ، والآخر راجع الى حال المنتظِر .
أما الراجع إلى نفس المنتظَر : فهو أن الثواب يومئذ يكون موجودا ؛ لأن الجنة دار وقوع الثواب لا دار الانتظار ، إذ الانتظار لذلك موجود في الدنيا ، والمعدوم هو الذي ينتظر لا الموجود ، وما يقال في مبتذل الكلام : انتظر زيدا ، معناه : انتظر حضوره وقدومه ، ألا ترى أنه لو فسر فقال : انتظر حضوره كان مستقيما ولو قال : انتظر وجوده كان فاسدا فدل أن هذا التأويل باطل .
وأما الراجع إلى حال المنتظِر : فهو أن ولي الله تعالى في الجنة مصون عما يوجب اعتراء وحشة في صدره ، أو ضيق وقلق في قلبه ، وفي الانتظار ذلك وتنغيص للنعمة ، وقد قيل في المثل : الانتظار موت أحمر ، وهذا مما لا يليق بحال أهل الجنة) (١٠٤).

نقد تأويل معنى الآية بالثواب

نقد الماتريدية صرف معنى الآية إلى الثواب ، بعد نقدهم لمعنى الانتظار ، محتجين على ذلك بعدد من الوجوه ، منها ما ذكره الإمام الماتريدي معلقا على مذهب المعتزلة قائلا : (احتج من نفى صرف التأويل إلى حقيقة الرؤية بأن قوله: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٌ ﴾ هو مقابل قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ، وقوله: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ مقابل قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ثم لم يكن قوله: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ على فقد الرؤية، ولكن على العقاب نفسه؛ فكذلك قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ليس هو على حقيقة الرؤية ووجودها؛ ولكن واقع على الثواب نفسه.

(١٠٣) تبصرة الأدلة ص ٥٢١ بتصرف يسير .
(١٠٤) تبصرة الأدلة ص ٥٢٢-٥٢٣ . وانظر : إشارات المرام ص ١٧٤ .

وجواب هذا الفصل من وجهين:
أحدهما: أن أهل العقاب بعد لم ينزل بهم جميع ما أوعدوا في هذه الدنيا من العقاب، لما ذكرنا أن نهاية العذاب في تسود الوجوه وتكلحها، ليس في بسورها؛ فلذلك استقام أن يكون قوله: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ على نفس العذاب.
والثاني : أن أهل الجنة قد وصلوا إلى رفيع الدرجات وعظيم الكرامات بما وصفوا بنضارة الوجوه؛ فاستقام أن يكون قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ منصرفا إلى حقيقة النظر، لا إلى غيره من الكرامات ، ولأن الرؤية من أعلى الكرامات وأرفعها، وأهل العقاب لم ينالوا أدنى الكرامات، فكيف يتوقعون أرفعها؟! أما أهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى؛ فجائز أن يكرموا بالرؤية أيضا) (١٠٥).
وبذلك بطلت حجة المعتزلة في تأويلهم هذه الآية سواء على معنى الانتظار او على معنى الثواب .

٢- **موقف المعتزلة من الاستدلال** بقوله تعالى (﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٣) على إثبات الرؤية .

يقول القاضي عبدالجبار : (ومما يتعلقون به قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ قالوا : فهذا سؤال فقد سأل موسى الله الرؤية ، فدل ذلك على أنها جائزة على الله تعالى ، فلو استحال ذلك لم يجز أن يسأله ، والذي يدل على أن السؤال سؤال موسى (عليه السلام) وجهان: أحدهما : هو أنه أضاف الرؤية لنفسه ، والثاني : أنه تاب والتوبة لا تصح إلا من فعل نفسه .

(١٠٥) تأويلات أهل السنة جـ ٥ ص ٣٤١ . وانظر : تبصرة الأدلة ص ٥٢٣ . إشارات المرام ص ١٧٤ .

وقد أجاب شيخنا أبو الهذيل (٢٠٣هـ) عن هذا : بأن الرؤية ههنا بمعنى العلم . ولا اعتماد عليه ؛ لأن الرؤية إنما تكون بمعنى العلم متى تجردت ، فأما إذا قارنها النظر فلا تكون بمعنى العلم ، فالأولى ما ذكره غيره من مشايخنا ، وهو أن السؤال لم يكن سؤال موسى وإنما كان سؤالا عن قومه ، والذي يدل عليه قوله (عز وجل) لمحمد (ﷺ) : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ النساء: ١٥٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ البقرة: ٥٥) ، فصرح الله تعالى بأن القوم هم الذين حملوه على السؤال ، ويدل عليه أيضا قوله سبحانه حاكيا عن موسى (عليه السلام) : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ الأعراف: ١٥٥) ، فبين أن السؤال سؤال عن قومه ،وأن الذنب ذنبهم) (١٠٦).

(وقد قال شيخنا أبو علي : إن قوم موسى (عليه السلام) إنما سألوه أن يريهم الله جهرة ، فخبرهم باستحالة ذلك ، فقالوا :﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فأراد (ﷺ)أن يأتيهم من قبل الله جواب مقنع ليكون زجرا لهم ، وكانوا سألوه أن يكلمه الله بحضرتهم حتى يسمعوا كلام الله ، فقال لهم : اختاروا منكم سبعين رجلا فاختاروهم ، واختارهم موسى (عليه السلام) وصار بهم إلى الميقات ، فلما كلمه تعالى بحضرتهم قالوا له : سل الله الرؤية ليتبين قومه أنها لاتجوز عليه وليزجرهم عن طلبها) (١٠٧) .

فالقاضي ومشايخه جعلوا هذه الحادثة وحادثة طلب قوم سيدنا موسى حادثة واحدة ، وليستا اثنتين (١٠٨).

(١٠٦) شرح الأصول الخمسة ص ٢٦٢ . وانظر : المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٢٢١ .

(١٠٧) المغني جـ ٤ ص ١٧١-١٧٢ .

(١٠٨) الحق أن الحادثتين متغايرتان ، وسيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله في التعليقات على مذهب المعتزلة في أهم نتائج البحث.

وثمت وجه آخر نقله القاضي عن شيخه أبي علي الجبائي (٣٠٣هـ) وهو : (أن موسى (عليه السلام) سأل ربه تعالى أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار علم من أعلام الآخرة ؛ ليعرف الله عند مشاهدته ضرورة ، فتزول عنه الدواعي إلى الشك ، ويستغني عن النظر والاستدلال ، وتكون المحنة في التكليف عليه أخف ، كما سأل إبراهيم (عليه السلام) أن يريه كيف يحيي الموتى لتخفيف المحنة وإن كان قد عرف ذلك قبل أن أراه الله ، لكن ما سأل إبراهيم هو من القبيل الذي يثبت التكليف معه فلذلك أجابه ، وما سأل موسى (عليه السلام) لو أجيب لزال معه التكليف ، فلما لم يجبه تعالى ذلك ؛ لأن التكليف يمنع منه ، علم أن موسى (عليه السلام) أخطأ في المسألة فتاب من مسألته) (١٠٩).

وقد أجاب الإمام الماتريدي عن ذلك بقوله : (قال قائلون: إن موسى لم يسأل ربه الرؤية لنفسه، ولكن سأل لقومه لسؤال القوم له كقوله: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)، لكن هذا بعيد؛ لأنه لو كان سؤاله إياه لسؤال قومه، لكان لا يقول: (رب أرني أنظر إليك)، ولكن يقول: أرهم ينظرون إليك، فدل أنه لم يكن لذلك.

وقال قائلون: لم يكن سؤال ربه رؤية الرب، ولكن سأل ربه رؤية الآيات والأعلام والأدلة التي بها يرى، وذلك جائز سؤال الرؤية: سؤال رؤية الآيات والأعلام، وذلك أيضا بعيد؛ لأنه قد أعطاه من الآيات والأعلام ما لم يكن له الحاجة إلى غيرها من الآيات؛ من نحو: العصا التي كان يضرب بها الحجر فتفجر منه اثنتي عشرة عينا، وما كان من فرق البحر وإهلاك العدو، واليد البيضاء، وغير ذلك من الآيات، فإذا بطل ذلك، دل أنه سأل حقيقة الرؤية، والقول بها لازم عندنا في الآخرة، وحق من غير إدراك ولا تفسير، والدليل على ذلك قوله: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)، ولو كان لا يرى لم يكن لنفي الإدراك حكمة؛ إذ لا يدرك غيره بغير الرؤية، فمع نفي الإدراك وغيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية لا معنى له) (١١٠) . ثم يضيف : (فإن قيل: لعله سأل آية ليعلم بها ؟ قيل: لا يحتمل ذلك لوجوه : أحدها: أنه قال: (لن تراني)، وقد أراه الآية.

وأيضا أن طلب الآيات يخرج مخرج التعنت؛ إذ قد أراه الآيات على ما ذكرنا، وذلك صنيع الكفرة أنهم لا يزالون يطلبون الآيات، وإن كانت الكفاية قد أثبتت، لهم فمثله ذلك أيضا.

---

(١٠٩) المغني جـ ٤ ص ٢١٨.

(١١٠) تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٢٨١ . وانظر : تبصرة الأدلة ص ٥١٨ .

وأيضا إنه قال: (فإن استقر مكانه فسوف تراني. . . .) والآية التي يستقر معها الجبل هي دون التي لا يستقر معها؛ ثبت أنه لم يرد بذلك الآية.
وأيضا محاجة إبراهيم - عليه السلام - قومه في النجوم وما ذكر بالأفول والغيبة، ولم يحاجهم بألا يحب ربا يرى، ولكن حاجهم بألا أحب ربا يأفل؛ إذ هو دليل عدم الدوام، ولا قوة إلا بالله) (١١١).

موقفهم من الآيات الثي تثبت لقاءا بين الله تعالى وعباده .

أول المعتزلة الآيات التي يستدل بها على إثبات الرؤية من حيث إثبات لقاء بين الله تعالى وبين عباده ، يقول القاضي عبدالجبار : (ومما يتعلقون به قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ الأحزاب: ٤٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ الكهف: ١١٠).إلى غير ذلك من الآيات التي ذكر فيها اللقاء.
والأصل في الجواب عن ذلك أن اللقاء ليس هو بمعنى الرؤية ، ولهذا استعمل أحدهما حيث لايستعمل الآخر ، ولهذا فإن الأعمى يقول : لقيت فلانا وجلست بين يديه وقرأت عليه ، ولا يقول : رأيته وكذلك فقد يسأل أحدهم هل لقيت الملك؟ فيقول : لا ولكن رأيته على القصر . فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لم يجز ذلك . فثبت أن اللقاء ليس هو بمعنى الرؤية وأنهم إنما يستعملونه فيها مجازا) (١١٢) .
ثم ذكر القاضي للآيات التي ذكر فيها اللقاء تأويلات أخرى غير الرؤية ، مثل تأويل اللقاء بالثواب في قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ وتأويله بلقاء الملائكة في قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ (١١٣).

موقف المعتزلة من قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥)

(١١١) تأويلات أهل السنة جـ ٢ ص ٢٨٢ . وانظر : تبصرة الأدلة ص ٥١٦-٥١٨ .
(١١٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٦٥ _ ٢٦٦ .
(١١٣) نفسه .

يقول القاضي عبدالجبار : (فإن قالوا : فقد قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ، وذلك يدل على أنه يجوز ان يرى . قيل لهم : إن دل على ذلك فيجب أن يدل على جسم في مكان ، وذلك بين الفساد ، والمراد بذلك انهم عن رحمته ممنوعون) (١١٤) . ثم يقول : (ليس في ظاهر الآية ما يدل على أن الكفار يوم القيامة محجوبون عن رؤية الله ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ولم يقل : عن رؤية ربهم ، ومتى قالوا : المراد بقوله : (عن ربهم) عن رؤية ربهم ، قلنا : ليس كذلك ، بل المراد عن ثواب ربهم ؛ لأنكم إذا عدلتم عن الظاهر فلستم بالتأويل أولى منا ، فنحمله على وجه يوافق دلالة العقل) (١١٥) .

موقف المعتزلة من الأحاديث الدالة على الرؤية .

انتهج علماء المعتزلة منهجا واحدا إزاء الأحاديث الواردة في مسألة الرؤية ، وهو إما نفيها مطلقا ، أو تأويلها بما يؤكد نفي الدلالة منها على الرؤية ، يقول القاضي عبدالجبار : (ومما يتعلقون به أخبار مروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأكثرها يتضمن الخبر والتشبيه ، فيجب القطع على أنه ﷺ لم يقله ، وإن قال فإنه قاله حكاية عن قومه والراوي حذف الحكاية ونقل الخبر) (١١٦) .

ومثل هذه المقالة ذكرها الرسي حين قال : (وقد ضل قوم ممن ينتحل الإسلام من المشبهة الملحدين الذين شبهوا الله عز وجل بخلقه ، وزعموا أنه على صورة الإنسان ، وأنه جسم محدود ، وشبح م شهود ، واعتلوا بآيات من الكتاب متشابهات حرفوها بالتأويل ونقضوا بها التنزيل ، كما حرف من كان قبلهم من اليهود والنصارى كلام الله عن مواضعه ، وبأحاديث افتعلها الضلال من بغاة الإسلام ، فحملها عنهم الجهال ، فيها الإلحاد والكفر بالله ، وأحاديث لم يعرفوا

(١١٤) المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٢٢٠ ، المغني جـ ٤ ص ٢٢٠-٢٢٢.
(١١٥) شرح الأصول الخمسة ص ٢٦٧.
(١١٦) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

حسن تأويلها ولم يعنوا بتصحيحها ، فضلوا وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل) (١١٧).

ومن الأحاديث التي رفضها المعتزلة أو تأولوها :

الحديث الأول : عن جرير بن عبدالله قال : خرج علينا رسول الله (ﷺ) ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته) .

ذكر القاضي عبدالجبار أن هذا الحديث لايصح الاحتجاج به لعدة أسباب :

(أحدها : هو أن هذا الخبر يتضمن الجبر والتشبيه ؛ لأنا لانرى القمر إلا مدورا عاليا منورا ، ومعلوم أنه لايجوز أن يرى القديم تعالى على هذا الحد ، فيجب أن نقطع على أنه كذب على النبي (ﷺ)، وانه لم يقله ، وإن قاله فإنه قاله حكاية عن قوم كما ذكرنا .

ثانيها : أن هذه الخبر يروى عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله البجلي عن النبي (ﷺ)وقيس هذا مطعون فيه من وجهين : أحدهما أنه كان يرى رأي الخوارج ، وثانيها: قيل : إنه خولط عقله في آخر عمره ، والكتبة يكتبون على عادتهم في حال عدم التمييز ، ولا ندري أن هذا الخبر رواه وهو صحيح العقل أو مختلط العقل (١١٨).

ثالثها : إن صح هذا الخبر وسلم فأكبر ما فيه أن يكون خبرا من أخبار الآحاد ، وخبر الواحد مما لا يقتضي العلم). (١١٩)

وقد أول المعتزلة هذا الحديث بما يوافق مذهبهم ، فنقل القاضي عن شيخه أنهم : (بينوا أن خبر جرير لو صح لكان له تأويل سليم على قولنا ، وهو أنه أراد بقوله : (ترون ربكم) تعلمون ربكم ؛ لأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم في اللغة .

يبين ذلك قوله جل وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ الفيل: ١) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ الفجر: ٦) ، وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ يس: ٧٧) ، وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا

(١١٧) القاسم الرسي : كتاب العدل والتوحيد . ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ١٣٣ .
(١١٨) انظر : المغني جـ ٤ ص ٢٢٦ .
(١١٩) شرح الأصول الخمسة ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ . بتصرف .

﴿٧﴾ ﴾ المعارج: ٦ - ٧)وهو تعالى يعني البعث ، وقول المسلمين : اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه ، والباطل باطلا فنجتنبه ، وقد ذكر أهل اللغة في كتبهم أن الرؤية إذا كانت بمعنى العلم تعدت إلى مفعولين ، وإذا كانت بمعنى الإدراك لم تتعد إلا إلى مفعول واحد .

فإذا صح ذلك ، وأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم ، لم يمتنع أن يكون المراد بقوله : (ترون ربكم) كما تعلمون القمر ليلة البدر ، ويكون هذا أصح) (١٢٠).

الحديث الثاني : عن عمار بن ياسر (رضي الله عنهما) عن النبي ﴿ﷺ﴾أنه كان يقول : (اللهم إني أسالك لذة النظر إليك ، وإلى وجهك من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة) (١٢١).

طعن القاضي عبدالجبار في راوي هذا الحديث كالحديث الذي قبله قائلا : (إن رواية عطاء بن السايب ، وكان قد اختلط عقله عند قدومه البصرة ، لم يرو عنه هذا الحديث إلا أهل البصرة) (١٢٢).

الحديث الثالث : عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال الناس : يارسول الله : هل يرى ربنا ؟ قال : هل يرى أحدكم الشمس والقمر ؟ قلنا : نعم ، قال : فإنكم سترونه فلاتضامون في رؤيته) (١٢٣) .

علق القاضي على هذا الحديث بقوله : (قالوا – أي شيوخ المعتزلة – في حديث أبي هريرة : إنه لايعمل به لتساهله فيما كان يرويه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وخلط ما كان يرويه عنه بأمور يرويها عن غيره) (١٢٤).

---

(١٢٠) المغني جـ ٤ ص ٢٣١.

(١٢١) أخرجه النسائي في سننه بسند صحيح . باب نوع آخر من الدعاء جـ ٣ ص ٥٤ . تحقيق الشيخ / عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب- سوريا ط ٢ ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م .

(١٢٢) المغني جـ ٤ ص ٢٢٦ .

(١٢٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه . باب رؤية الله تعالى ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . انظر : سنن الترمذي جـ ٤ ص ٦٨٨ . تحقيق الشيخ /أحمد محمد شاكر . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .

(١٢٤) المغني جـ ٤ ص ٢٢٧.

وبهذا يتضح رفض المعتزلة المطلق للاستشهاد بالسنة النبوية على هذه المسألة ، سواء كان بالطعن في الرواية نفسها نفيا لأن يكون النبي (ﷺ) قد قالها ، او الطعن في راويها ، أو تأويلها تأويلا يبعدها عن المراد .

وقد أجاب الماتريدية عن مذهب المعتزلة بأن أحاديث الرؤية ثابتة ، وأنها ليست أحاديث آحاد كما زعمت المعتزلة ، بل هي مشهورة ، وقد بلغت حد التواتر المعنوي ، وأن أحاديث الرؤية صريحة في الدلالة على الإثبات الذي لايحتمل التأويل . (١٢٥)

أدلة المعتزلة العقلية

استدل المعتزلة على صحة مذهبهم في رفض الرؤية في الآخرة بعدد من الأدلة العقلية منها :

الدليل الأول : (لو كان تعالى يرى بالبصر لوجب أن يجوز أن يكون في جهة ، إما بنفسه ، وإما بمحله ، وذلك مستحيل عليه ، يبين ذلك أن الواحد منا كما يحتاج إلى حاسة البصر في الرؤية ، فكذا يحتاج الى أن يكون ما يراه مقابلا لحاسته ، إما بنفسه ، وإما بمحله ، وكذلك متى أراد أن يرى ما لا يقابله يستعين بالمرآة فتصير مقابلته لها كمقابلته بالبصر) (١٢٦) .

فالنفي في هذا الدليل ينصرف إلى نفي الجهة ، وأن الإبصار لا بد وأن يكون في جهة حتى تتحقق الرؤية من الرائي للمرئي .

وقد أجاب الإمام الصابوني من الماتريدية عن هذا بقوله : (إن قيل : لو كان الله مرئيا لكان بجهة من الرائي ، فإن ما رأينا في الشاهد شيئا إلا وهو في جهة من جهات الرائي منا(١٢٧) .

---

(١٢٥) تقدم الكلام عن هذه المسألة عند تقرير مذهب الماتريدية في الرؤية استدلالا بالسنة النبوية . انظر : شرح العمدة في عقيدة أهل السنة ص ٢١٩ ، تفسير النسفي جـ ٣ ص ٣٦ ، أصول الدين للبزدوي ص ٨٧-٨٨ ، التوحيد ص ١٤٤ ، المسامرة في شرح المسايرة جـ ١ ص ٣٩ ، البداية من الكفاية ص ٧٧ ، تبصرة الأدلة ص ٥٢٥ . وانظر : ابن قطلوبغا الحنفي : شرح على المسامرة جـ ١ ٣٩ .

(١٢٦) المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص٢٢١ . شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٨ . المغني جـ ٤ ص ١٤٠ .

(١٢٧) ذكر هذا الدليل القاضي عبدالجبار في كتابه المغني جـ ٤ ص ١٤٠ .

قلنا : الرؤية إثبات الشيء كما هو بحاسة البصر ، فإن كان المرئي بجهة يرى في جهة ، وإن كان منزها عن الجهة يرى كما هو كذلك ، أليس أنا ما علمنا في الشاهد شيئا إلا وهو في جهة من الجهات ، ثم علمنا الله تعالى منزها عن الجهات ، فكذا هذا .
والدليل على صحة ما قلنا : أن الله تعالى يرانا ، ولسنا بجهة منه ، فكذلك نراه ولا يكون بجهة منا) (١٢٨).
وبتفصيل آخر يقول أبو المعين النسفي : (وما يذكرون من اشتراط المقابلة وثبوت المسافة ، واتصال الشعاع ، وتحقق الجهة فهو كله باطل ، فإن الله تعالى يرانا من غير مقابلة ، ولا اتصال شعاع ، ولا مسافة بيننا وبينه ولا جهة ، والعلل والشرائط لا تتبدل بالشاهد والغائب ، وحيث تبدلت دل أنها من أوصاف الوجود دون القرائن اللازمة ، فلا يشترط تعديها ، وهذا لأن المرئي إن كان في جهة او مقابلة يرى فيها لا لأن الرؤية تقتضي ذلك ، بل لأن المرئي كذلك ، وكل شيء يرى على ما هو عليه ، وفي الغائب الأمر بخلافه ، واعتبر هذا العلم بالعلم ، فإن كل شيء يعلم كما هو إن كان في الجهة يعلم في الجهة ، وإن كان لا في الجهة يعلم لافيها ، فكذا الرؤية) (١٢٩).
الدليل الثاني : استند المعتزلة على نفي الرؤية بنفي الجسمية ، يقول الزمخشري : (إن قلت : ما الدليل على أنه لا يدرك بحاسة ، وأنه ليس بمرئي ؟ قلت : لأن ما ليس بجسم ولا عرض يستحيل إدراكه بشيء من الحواس ، وإذا استحال ذلك استحالت رؤيته ، ولأن الأشياء على ضربين : مرئي كالجسم واللون ، وغير مرئي كالصوت ، فالمرئي تنتفي رؤيته بأحد شيئين : إما بآفة في البصر أو بوجود مانع من الرؤية ، فلما لم ير الله مع سلامة الأبصار وارتفاع الموانع علم أنه ليس بمرئي) (١٣٠) .

---

(١٢٨) البداية من الكفاية ص ٧٩ – ٨٠ . وقد أورد مثل هذا الاعتراض المقبلي – وهو زيدي معدود من مؤيدي المعتزلة - في كتابه العلم الشامخ فقال : (إن الرؤية لو استلزمت الجهة للزم في رؤيته تعالى لنا ، ولا يجدون فرقا بن الرائي والمرئي ، وما الرؤية إلا كسائر الصفات لا تعلم إلا سمعا ، وأدلة العقل فيها في غاية السقوط) .انظر : صالح بن المهدي المقبلي : العلم الشامخ ص ١٦٧ . مكتبة دار البيان – دمشق . بدون تاريخ .
(١٢٩) التمهيد لقواعد التوحيد ص ٦٦-٦٧ .
(١٣٠) المنهاج في أصول الدين ص ١٦-١٧ .

الدليل الثالث : يمكن اعتبار هذا الدليل مكمل للدليل السابق ، وفيه ذهب القاضي عبدالجبار : (إلى أن القديم تعالى لو جاز أن يرى في حال من الأحوال لوجب أن نراه الآن ، ومعلوم أنا لا نراه الآن ، وتحرير هذه الدلالة ، هو أن الواحد منا حاصل على الصفة التي لو رأى المرئي لما رأى إلا لكونه عليها ، والقديم سبحانه وتعالى حاصل على الصفة التي لو رئي لما رئي إلا لكونه عليها ، والموانع المعقولة مرتفعة ، فيجب أن نراه الآن ، فمتى لم نره دل على استحالة كونه مرئيا) (١٣١).

أجاب الماتريدية عن الدليلين السابقين بأنه : (ما جاز رؤيته إنما نراه إذا خلق الله رؤية ذلك الشيء في العباد ، فإذا لم يخلق لا نراه . وإن كان هو مرئيا في ذاته ، كالجني يراه المصروع ولا يرى من حوله ، والنبي(ﷺ) رأى جبريل (عليه السلام) ولم يره أصحابه ، وأوضح من ذلك ان الهرة تبصر الفأرة في الليل ولا نراها نحن) (١٣٢).

ثم يضيف أبو المعين النسفي : (وما يزعم بعض جهالهم أن الرؤية تقتضي التشبيه ، فلو كان الله تعالى مرئيا لكان شبيها بالمرئيات ، بطل ؛ لأن الرؤية في الشاهد تتعلق بالمتضادات كالسواد والبياض والحركة والسكون ، ولا مشابهة بينهما فكذا فيما نحن فيه ، يحقق أن إنسانا لو ألزم هذا في العلم ، وقال : عن العلم يقتضي التشبيه ، فلو كان الله تعالى معلوما لكان شبيها بالمعلومات ، يبطل قوله بما مر من تعلق العلم بالمتضاد ، مع أنه لامشابهة بينهما ، فكذا هذا) (١٣٣).

(١٣١) شرح الأصول الخمسة ص ٢٥٣ .
(١٣٢) البداية من الكفاية ص ٨٠ . والعلم الحديث بين الحين والآخر يكتشف أجساما موجودة لم نكن نراها وأصبحت في حيز الرؤية بعد تقدم الأدوات التي تساعد على رؤيتها .
(١٣٣) التمهيد لقواعد التوحيد ص ٦٧.

أهم نتائج البحث

بعد عرض مذهبي الماتريدية والمعتزلة في مسألة رؤية الله تعالى ، والنظر في أدلة كل فريق وفي كيفية استدلاله ، وبعد بيان موقف الماتريدية من المعتزلة فقد توصل البحث للنتائج التالية :

١- اتفق الماتريدية دون مخالف منهم على جواز رؤية الله سبحانه وتعالى من غير إدراك ولا تفسير ، مع نفي جميع معاني الشبه عنه تعالى . واتفق المعتزلة على نفي الرؤية مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن الشبه والتجسيم لأنه لا يرى عندهم إلا ما كان جسما وفي جهة .

٢- استخدم الماتريدية والمعتزلة في الاستدلال على معتقدهم في مسألة الرؤية أدلة النقل والعقل جميعا ، وكان لكل منهم وجهة نظره التي استخدمها لنصرة مذهبه .

٣- انتهج الماتريدية في إثبات مسألة الرؤية منهج الاستدلال من خلال استقراء جميع الأدلة من القرآن والسنة والعقل وأقوال الصحابة ، وكذلك من خلال تفنيد أدلة المعتزلة وبيان تهافت استدلالهم في نفي الرؤية .

٤- لم يخالف الماتريدية جمهور الأشاعرة في الاستدلال كما زعم الخيالي وغيره ، حيث استدل الماتريدية بأدلة النقل ، وجعلوها أساسا في الاستدلال ، واستدل الكثير منهم بدليل العقل إما بطريق مباشر أو بطريق تفنيد أدلة الخصوم ، لكنهم لم يهملوه مطلقا .

٥- استدل المعتزلة على نفي الرؤية بأدلة السمع ، ولذلك لم يكفروا مخالفيهم في هذه المسألة ، وقد قدم بعضهم دليل السمع في الاستدلال كالقاضي عبدالجبار في كتابيه شرح الأصول الخمسة ، والمختصر في أصول الدين .

٦- لم يكن موقف مؤيدي المعتزلة من الزيدية مؤيدا لكل أدلة المعتزلة بل عارض بعض أدلتهم العقلية أحد علماء الزيدية البارزين وهو العلامة المقبلي اليمني صاحب كتاب العلم الشامخ ، وهذا يحتاج الى مزيد دراسة حول مسائل الاتفاق والاختلاف بين الزيدية والمعتزلة .

٧- استخدم المعتزلة في استخراج دلالتهم على نفي الرؤية دلالة اللغة والعقل ، ولكنهم قد وقعوا في بعض التناقضات ومنها :

أ – زعم المعتزلة أن طلب سيدنا موسى للرؤية في قوله تعالى : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ الأعراف: ١٤٣) هو نفس طلب قومه حين اختاروا سبعين رجلا

منهم للميقات ، وطلبوا رؤية الله سبحانه وتعالى ، فالواقعتين عند المعتزلة واقعة واحدة . والحق أنهما متغايرتان ، فإن القارئ للآيات من سورة الأعراف يدرك للوهلة الأولى أن طلب سيدنا موسى للرؤية كان سابقا على طلب قومه ، حيث ذكرت الآيات أن سيدنا موسى بعد طلبه للرؤية ومنعه عنها أوحى الله اليه وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا ، ثم رجع إلى قومه غضبان أسفا بعد اتخاذهم العجل ثم ألقى الألواح، ولام قومه وعاتبهم ، ثم لما سكت عنه الغضب أخذ الألواح ، ثم اختار قوم موسى سبعين رجلا للميقات وهم الذين قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾. فالأولى غير الثانية ونلاحظ أن الله سبحانه لما طلب سيدنا موسى وحده الرؤية علق الله سبحانه الرؤية على ممكن وهو استقرار الجبل ، أما في حال قومه فإن الله تعالى لم يمهلهم حتى لاستكمال الطلب ، بل أرسل عليهم الصاعقة فأخذتهم . وبذلك نرى أن المعتزلة أخطأوا في هذا الاستدلال .

بـ - زعم المعتزلة تبعا لنصرة مذهبهم أن اللقاء شيء غير الرؤية وأنه يجوز ان يكون هناك لقاء دون رؤية ، مستدلين على ذلك بقول الأعمى : (لقيت فلانا)

والحق أن هذا استدلال ناقص فيه إيهام على القارئ ، فإن الأصل المقيس عليه ليس أساسا في القياس ، بل الأصل فيه للمبصر ، والذي حين يقول أنه قابل فلانا فمعناه يقينا أنه رآه ، لأنه لا يحصل لقاء بدون رؤية ، وقد تكون رؤية دون لقاء .

جـ - أخطأ المعتزلة في استدلالهم على نفي الرؤية بقياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا ، حيث دللوا بعدم رؤيتنا له سبحانه في الدنيا على انتفائها في الآخرة . وما ذكروه غير صحيح ، فإنه قد ثبت يقينا أن هناك موجودات قابلة للرؤية وأنا لا نراها لعدة أسباب منها منع الله سبحانه وتعالى لنا من رؤيتها كالجن مثلا ، أو أننا لا نراها لعدم وجود الآلات المناسبة لرؤيتها ، وهذا يدل على أن عدم رؤيتنا للشيء ليست دليلا على أنه في ذاته لايرى ، غاية الأمر أننا لا نملك آليات هذه الرؤية ، أو لا نملك الآلة التي نستطيع بها رؤيته ، هذا في الشاهد ، وأما في حقه سبحانه فإنه سبحانه وتعالى قد أخبر أن رؤيته ممنوعة في الدنيا جائزة في الآخرة لعباده المؤمنين حين يزيل الله تعالى الحجب عنهم ، ويهيئهم لرؤيته في الوقت وبالكيفية التي يعلمها سبحانه وتعالى .

د ـ أكد القاضي عبدالجبار أن النظر إذا تعدى بإلى فإنه لايفيد شيئا سوى الرؤية عند استدلاله بقوله تعالى : (﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ ، لكنه عاد وأثبت أنه قد يفيد الانتظار عند استدلاله بقوله تعالى : (﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ ـ ٢٣ . وهذا منه تناقض واضح .

وبذلك يتضح أن المعتزلة قد اعتمدوا على أدلة العقل واللغة في تفسير النص القرآني ورفضهم للسنة النبوية ، انتصارا لمذهبهم ، فوقعوا في تناقضات لغوية تثبت بعدهم عن الحق في هذه المسألة .

وبناءا على ذلك فإن مذهب الماتريدية هو الأولى بالقبول لقوة أدلتهم ، ورجاحة استدلالهم ، وموافقتهم لإجماع الأمة سلفا وخلفا على جواز رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة . نسأل الله تعالى ان تكون وجوهنا ناضرة يوم القيامة وإلى ربها ناظرة .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أهم مراجع البحث

١- القرآن الكريم
٢- السنة النبوية .
٣- إشارات المرام من عبارات الإمام : كمال الدين البياضي .تحقيق : أحمد فريد المزيدي . دار الكتب العلمية . بيروت –لبنان ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
٤- أصول الدين : أبو اليسر البزدوي. تحقيق د/ هانربيتر لنس ، د/ أحمد حجازي السقا . المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
٥- الأعلام : خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت – لبنان . ط ١٥ مايو ٢٠٠٢ م .
٦- الانتصار : أبو الحسين الخياط :. تحقيق : دكتور نيبرج . مكتبة الدار العربية للكتاب –مصر ، أوراق شرقية – لبنان . ط٢ ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
٧- التبصير في الدين : طاهر بن محمد الاسفراييني . تحقيق : كمال يوسف الحوت . عالم الكتب . بيروت - لبنان ط ١ ١٩٨٣ م .
٨- التمهيد لقواعد التوحيد : أبو المعين النسفي :.تحقيق الشيخ / محمد عبدالرحمن الشاغول . المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٦ م .
٩- التوحيد : الإمام أبو منصور الماتريدي: تحقيق د /بكر طوبال أوغلي ، د / محمد أروش . دار صادر – بيروت ، مكتبة الإرشاد . استانبول – تركيا . بدون تاريخ .
١٠- الجامع الصحيح : الإمام البخاري . تحقيق د/ مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير – دار اليمامة . بيروت –لبنان . ط ٣ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
١١- السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور : تاج الدين السبكي : تحقيق : ا.د / مصطفى صائم يبرم . جامعة مرمرة . استانبول – تركيا . ط ١ ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
١٢- الصحائف الإلهية : شمس الدين السمرقندي : تحقيق الدكتور / أحمد عبدالرحمن الشريف . رسالة دكتوراة بدون دار طبع .
١٣- العلم الشامخ : صالح بن المهدي المقبلي . مكتبة دار البيان – دمشق . بدون تاريخ .

١٤- الفرق بين الفرق : عبد القاهر البغدادي :. دار الآفاق الجديدة . بيروت – لبنان ط ٢ ١٩٧٧م .
١٥- الفوائد البهية في تراجم الحنفية : أبو الحسنات اللكنوي الهندي . تحقيق : السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعماني . دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .
١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل : أبو القاسم الزمخشري :. تحقيق : عبدالرزاق المهدي . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .
١٧- المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد : القاضي عبدالجبار :. تحقيق : ا.د / محمد عمارة . دار الشروق ط٢ ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م . منقول بتصرف يسير .
١٨- المسامرة في شرح المسايرة : الكمال بن الهمام . المكتبة الأزهرية للتراث ط ١ ٢٠٠٦م .
١٩- المعتزلة : زهدي جار الله :. الأهلية للنشر والتوزيع . بيروت ١٩٧٤ م .
٢٠- المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبدالجبار :. تحقيق الدكتور / محمد مصطفى حلمي ، الدكتور /أبو الوفا الغنيمي . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة –مصر .
٢١- المنهاج في أصول الدين : أبو القاسم الزمخشري . تحقيق وتقديم : سابينا شميدكة . الدار العربية للعلوم . ط١ ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م .
٢٢- المنية والأمل :أحمد بن يحيى المرتضى : تحقيق د / عصام الدين محمد علي . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية – مصر .
٢٣- المواقف . عضد الدين الإيجي مكتبة المتنبي . القاهرة . بدون تاريخ .
٢٤- بحر الكلام : أبو المعين النسفي . تحقيق د/ ولي الدين الفرفور . مكتبة دار الفرفور ط٢ ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م
٢٥- تاريخ الإسلام : شمس الدين الذهبي : تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٦- تأويلات أهل السنة . الإمام أبو منصور الماتريدي : تحقيق : فاطمة يوسف الخميمي . مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان . ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .

٢٧- تبصرة الأدلة : أبو المعين النسفي : تحقيق ا.د / حسين آتاي . رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية – أنقرة ١٩٩٣

٢٨- تفسير النسفي. : أبو البركات النسفي : تحقيق : يوسف علي بديوي ، محيي الدين ديب مستو . دار الكلم الطيب ، بيروت -لبنان ط ١ ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

٢٩- تيسير مصطلح الحديث :د / محمود الطحان . مكتبة المعارف للنشر – الرياض . ط ١١ . ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .

٣٠- حاشية العطار على جمع الجوامع :الشيخ / حسن العطار :. دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان .١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

٣١- سنن الترمذي. تحقيق الشيخ /أحمد محمد شاكر . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .

٣٢- سنن النسائي . تحقيق الشيخ / عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب- سوريا ط ٢ ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م .

٣٣- شرح الأصول الخمسة. القاضي عبدالجبار الهمذاني : تحقيق الدكتور / عبدالكريم عثمان . مكتبة وهبة . القاهرة – مصر .

٣٤- شرح العلامة الخيالي على النونية. شمس الدين الخيالي : تحقيق . عبد النصير الهندي .مكتبة وهبة ط ١ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٣٥- شرح العمدة في عقيدة أهل السنة : أبو البركات النسفي :. تحقيق الدكتور / عبدالله إسماعيل . المكتبة الأزهرية للتراث . ط ١ ١٤٣٢هـ ، ٢٠١٢م .

٣٦- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين السبكي . تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، د.عبد الفتاح محمد الحلو الناشر : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط ٢، ١٤١٣هـ.

٣٧- كنز الوصول الى معرفة الأصول أو أصول البزدوي. أبو اليسر البزدوي : مطبعة جاويد بريس – كراتشي .باكستان .

٣٨- مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية : د/عصام أنس الزفتاوي :. رسالة ماجستير ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م . بدون

٣٩- موجز دائرة المعارف الإسلامية : ا.ج .بريل .مركز الشارقة للإبداع الفني . ط ١ ١٤١٨هـ . ١٩٩٨ م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٨١٩
٢	المبحث الأول : التعريف بمفردات البحث	٨٢١
٣	التعريف بالرؤية	٨٢١
٣	التعريف بالماتريدية	٨٢٢
٤	التعريف بالمعتزلة	٨٢٤
٥	المبحث الثاني : مذهب الماتريدية في الرؤية	٨٢٧
٦	أقوال علماء الماتريدية في الرؤية	٨٢٧
٧	أدلة الماتريدية على مذهبهم	٨٢٩
٨	الأدلة النقلية	٨٣٠
٩	الأدلة من القرآن الكريم	٨٣١
١٠	الأدلة من السنة النبوية	٨٣٥
١١	الأدلة العقلية	٨٣٧
١٢	المبحث الثالث : مذهب المعتزلة في الرؤية	٨٣٩
١٣	أقوال المعتزلة في الرؤية	٨٣٩
١٤	أدلة المعتزلة على مذهبهم وموقف الماتريدية منها	٨٤٠
١٥	الأدلة النقلية وموقف الماتريدية منها	٨٤٠
١٦	موقف المعتزلة من الآيات المجوزة للرؤية	٨٤٩
١٧	موقف المعتزلة من أحاديث الرؤية	٨٥٣
١٨	أدلة المعتزلة العقلية وموقف الماتريدية منها	٨٦٠
١٩	أهم نتائج البحث	٨٦٣
٢٠	أهم مراجع البحث	٨٦٦